
قلب جديد
لمن
يريد



رقم الإيداع : ١٧٤٢٢ / ٢٠٠٧

الطبعة الأولىٰ

٢٠٠٧ / ١٤٢٨

مكتبة سوق الآخرة

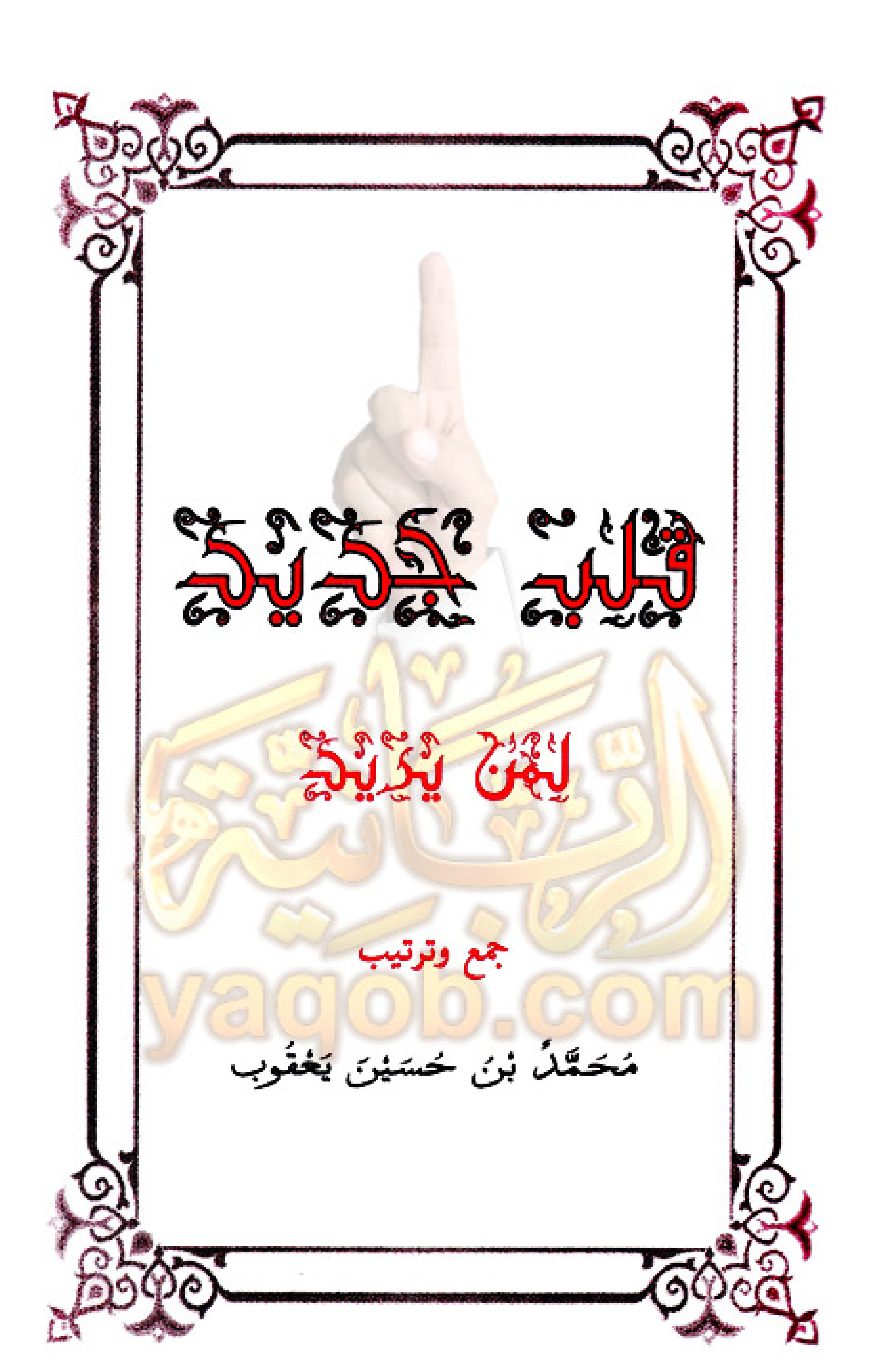
هاتف : ٠١٠١٦٥٧١٧٣ - ٣٢٨٧١٨٩

دار التقوى

للنشر والتوزيع

شبرا الخيمة

هاتف : ٢٢٣١١٠٣ - ٤٧٣١٨٢٤ - ٤٧١٥٥٠٣



قلب جديد

لمن يريد

جمع وترتيب

محمد بن حسين يعقوب


بسم الله الرحمن الرحيم
yaqob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ ، ونعوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أنفسِنا ، ومِنْ سَيِّئاتِ أعمالِنا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لَه ، ومَنْ يُضلِلْ فلا هَادِيَ لَه ، وأشْهَدُ ألَّا إله إلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لا شريكَ لَه ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُه .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إبْرَاهِيمَ ، وَعَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ .

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الحديثِ كِتابُ اللَّه ، وأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها ، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة ، وكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار .

إخْوَتِي فِي الله . .

والَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ ؛ إني أُحِبُّكم في اللَّه ، وأسألُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يجمعَنا بهذا الحُبِّ في ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه ، اللَّهُمَّ اجعلْ عملَنا كُلَّهُ صَالِحًا ، واجعلْهُ لوجهِكَ خَالِصًا ، ولا تجعلْ فيهِ لأحَدٍ غَيْرِكَ شيئًا .

أحبتي في الله ...

قال الله عز وجل : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1] ..

القلب .. وما أدراك ما القلب ...

القلب هو القائد الأول، وعليه في جميع الأمور المعول..

له في جسد الإنسان المكان الأول ..

فهو الملك .. والجوارح له جنود وخدم ..

وهو الآمر الناهي .. والأعضاء له أتباع وحشم ..

والله يريد منك قلبك ..

فكم من عمل يتصور بصورة الآخرة ولا يقبله الله لفساد ما في القلب ..

وكم من عمل يتصور بصورة الدنيا ويكون لله قربة بصحة ما في القلب من نية .

القلب............

تلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ..

ومن عجيب أمر الله فيه أنه جعل بصحته وبقائه وانتظام دورته حياة الجسد ..

وجعل سبحانه بطهارة القلب وسلامته من الآفات حياة الروح ..

فالقلب هو المدرك والعالم من الإنسان ..

والقلب هو المخاطَب والمطالَب والمعاتَب ..

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

القلب ...

محل العلم ومحل التقوىٰ . .

محل الإخلاص والذكرىٰ والحب والبغض . .

محل الوساوس والخطرات . .

القلب ...

موضع الإيمان والكفر ، والإنابة والإحرار ، والطمأنينة والاضطراب . .

القلب ...

هو العالم بالله ، المتقرب إلىٰ الله ، العامل لله ، الساعي إلىٰ الله . .

وإنما الجوارح أتباع للقلب وخدم . .

القلب ...

هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله . .

وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقًا بغير الله . .

القلب ...

هو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح العبد إذا زكَّاه . .

ويخيب ويشقىٰ إذا دنسه ودسَّاه . .

القلب ...

هو المطيع في الحقيقة لله . .

وإنما ينتشر علىٰ الجوارح من العبادات أنوارُهُ . .

القلب ...

هو العاصي المتمرد علىٰ الله ، وإنما الساري علىٰ الأعضاء من الفواحش آثارُهُ .

بإظلام القلب واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، إذ كل إناء ينضح بما فيه . .

وبصحة القلب وسلامته وطهارته تظهر ثمرة الأعمال ، وإلا فعمل لا يصل إلىٰ القلب لا تتم فائدته ، قال رسول الله ﷺ : «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1] .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فلا إله إلا الله كم في النفوس من علل وأغراض وحظوظ تمنع الأعمال أن تكون لله خالصة وأن تصل إليه ! وإن العبد ليعمل العمل حيث لا يراه بشر البتة وهو غير خالص لله ، ويعمل العمل والعيون قد استدارت عليه نطاقًا وهو خالص لوجه الله ، ولا يميِّزُ هذا إلا أهلُ البصائر ، وأطباءُ القلوب العالمون بأدوائها وعللها . .

فبين العمل وبين القلب مسافة ، وفي تلك المسافة قُطَّاع تمنع وصول العمل إلىٰ القلب ، فيكون الرجل كثير العمل وما وصل منه إلىٰ قلبه محبة ولا خوف ولا رجاء ، ولا زهد في الدنيا ، ولا رغبة في الآخرة ، ولا نور يفرق به بين أولياء الله وأعدائه ، وبين الحق والباطل ، ولا قوة في أمره ، فلو وصل أثر الأعمال إلىٰ قلبه لاستنار وأشرق ، ورأىٰ الحق والباطل ، وميَّز بين أولياء الله وأعدائه ، وأوجب له ذلك المزيد من الأحوال .

ثم بَين القلب وبين الرب مسافةٌ ، وعليها قُطَّاع تمنع وصول العمل إليه ، من : كِبر ، وإعجاب ، وإدلال ، ورؤية العمل ، ونسيان المِنَّة ، وعِلَل خفية لو استقصىٰ في طلبها لرأىٰ العجب ، ومن رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ سَتْرُها علىٰ أكثر العمال ، إذ لو رأوها وعاينوها لوقعوا فيما هو أشد منها من : اليأس ، والقنوط ، والاستحسار ، وترك العمل ، وخمود العزم ، وفتور الهمة» . .

فمهمة القلب الأصلية التي خلق لها كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

١) يسير إلىٰ الله عز وجل والدار الآخرة .

٢) ويكشف عن طريق الحق ونهجه .

٣) ويكشف آفات النفس والعمل .

٤) ويكشف قطاع الطريق .

وذلك بخمسة :

١) بنوره .

٢) وحياته وقوته .

٣) وصحته وعزمه .

٤) وسلامة سمعه وبصره .

٥) وغيبة الشواغل والقوطع عنه .

القلوب بيد الله :

واعلم –أخي الحبيب– أن الله تعالىٰ رَحِمَ عبده حيث لم يجعل قلبه في يد نفسه ، وإنما هو سبحانه برحمته يتولاه ويجتبيه . . ويبتليه بدخول الشيطان ووسوسته في صدره لِيُعْلِمَهُ قليلاً من حقارة قدر نفسه ، ويريه تمام فقره ، وتصديق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، يعني : بوساوس الشيطان والنفس . . ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وهو طهارة القلب بنور الإيمان . .

قال رسول الله ﷺ : «القُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ، فَأَيُّمَا قَلْبٍ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ ، وَأَيُّمَا قَلْبٍ أَرَادَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ»[١] . .

إن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، ويلقي فيها ما يشاء ، وينزع منها ما يشاء ، ويصرفها عمّا يشاء . .

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٦٥) .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال : ٢٤]، فهي دعوة للاستجابة ثم لصدق اللُّجأ إلىٰ الله لجعل القلب قابلاً للاستجابة .

﴿اسْتَجِيبُوا﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ : فاستجيبوا ابتداءً ؛ لأن الذين يرفضون الإذعان أولاً يعاقبون بتقليب القلب .

قال تعالىٰ : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]..

ويقول تعالىٰ : ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠]..

هذه الآيات تفيد نَفْسَ المعنىٰ ، فالله تعالىٰ هو الذي يُلْقِي الإيمان في قلوب المؤمنين ، قال عز وجل : ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال تعالى : ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، وقال عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح : ٤].

وهو تعالى الذي يُلْقِي الكفر في قلوب الكافرين : قال تعالىٰ : ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠-٢٠١]، وقال عز وجل : ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٢-١٣].

فهو سبحانه الذي يلقي الإيمان في قلوب المؤمنين رحمةً منه وفضلاً ، ويُلْقِي الكفر في قلوب الكافرين حكمةً منه وعدلاً ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف : ٥]..

قلبك ليس بيدك ، فلتلجأ إلىٰ مقلب القلوب ، ليثبت قلبك علىٰ الإيمان ..

القلب سبيل إلى الجنة أو إلى النار

قال عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٨٨-٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣١-٣٤]، فدخول الجنة شرطه: قلب سليم .. قلب منيب ..

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فدخول جهنم لأصحاب القلوب التي لا تفقه ..

أخي وحبيبي في الله ...

هذا هو قلبك، وهذه هي أهميته وخطورته، تُرَىٰ أين هو؟ تاه؟! ضاع؟ مات؟

هل تحتاج إلى قلب جديد؟!

إذًا هات يدك، واركب معنا، أستحضر لك قلبًا جديدًا خاشعًا مخبتًا، تُبْحِر به معي في سفينة النجاة، نحو الفردوس الأعلىٰ.

فلماذا لا نستغل رمضان هذا العام لندخل به الفردوس الأعلىٰ من الجنة؟

تعالوا نترك أنفسنا لرمضان .. نطفو فوق نفحاته؛ لتأخذنا أمواج حسناته .. ويحملنا بيُسر طاعاته .. ويُلقينا بكثرة بركاته علىٰ شاطئ الفردوس الأعلىٰ .. لنرسُوَ به علىٰ بَر الكوثر في الجنة ..

أهدي إليكم - أحبتي في الله - هذا الكتاب لنأخذ بأيدي بعضنا البعض صوب نحو استعداد حقيقي لرمضان جديد جدًا في حياتك، مختلف بالكلية عن

أي رمضان مرّ عليك من قبل . .

سنبدأ بفكرة :

ليعظم عندك الشهر ، وتقدّر للموسم قدره ، ويحصل في قلبك إجلاله ، تعالَ لنعتبر رمضان كالبحر ، ونعتبر من يدركه قد ركب البحر .

ثم أحثوك وأناديك : «اركب معنا»..

لنشحذ الهمم بغية الاستعداد بجدية لولادة قلب جديد لك قبل رمضان . .

ثم بوقفة مع النفس:

نعترف فيها بما نحتاج التخلصَ منه في زمن الاستعداد ، ونتعلم كيف نقف مع أنفسنا .

ثم نستجدي قلبًا جديدًا :

ونقوم بعملية تجديد الدورة الإيمانية ؛ لنعيش بقلوب جديدة إن شاء الله .

ثم أضع لك قواعد الإبحار:

كيف تُبْحِرُ ؟ مع من ستبحر؟ كيف تواجه الأمواج والأعاصير ؟

ثم أختم بمائة وصية للصائمين:

لتعرف كيف تصل إلى الفردوس الأعلى إن شاء الله بشهر رمضان .

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَى سَيِّدِ المُرسَلِينَ وخَاتَمِ النَّبِيِّينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، والحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ

وكَتَبَ

مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ آلِ يَعْقُوبَ

غَفَرَ اللهُ لَهُ ولِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ والمُسْلِمِينَ والمُسْلِمَات

وكانَ خِتامُهُ في ليلةِ السابعِ والعشرينَ من شهرِ رجب ١٤٣٠ هـ

الموافق ١٩/٧/٢٠٠٩ م

الفصل الأول

رمضان كالبحر!!

«رحمة الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها،

بقدر الرزق، وبحسب التعرض،

وبحسب قبول المحل، وطهارة القلب،

وذلك البحر الذي لا يدرك غوره، ولا يبلغ ساحله»..



رمضان كالبحر..

قال الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال النبي ﷺ: «أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»[1].

فما أعظمَ رمضان! ما أكثرَ نفحاته! ما أجلَّ كنوزه!

لكن.. ما أكثر المغرورين المعتقدين أنهم نجوا بمجرد إدراكه!!

كم من مسلم يفرح بقدوم رمضان، فيتوب مؤقتًا ويؤدي عبادات شكلية، ثم يظن أنه قد فاز ونجا!

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد ﷺ الذي نهى أن يقول الرجل: صمت رمضان كله، أو قمت رمضان كله.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد ﷺ الذي يقول الحق ويهدي الله به السبيل حين يقول: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»[2].

إخوتي..

اسمحوا لي بسرد هذه القصة:

يحكى أن رجلًا قال لآخر: «هل يمكن أن أصلي من غير وضوء؟».

---

(١) أخرجه النسائي (٢١٠٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٥٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٧١).

فأجابه على الفور : «بالطبع لا!».

فقال له : «لكنني جربت .. فوجدت ذلك ممكنًا» !!

هل فهمتم هذا المثال للتجارب الساذجة في الحياة؟!

صلى صلاة باطلة .. لكنه رضي واكتفى بحركات السجود والركوع والقيام .. وإن فقد حقيقة الصلاة .. وظن أن ذلك ممكنًا ، ياله من مسكين!

قنع بالظاهر .. وأهدر الأصل .. فحبط ما صنع .. وبطل ما عمل .. بل أوقع نفسه في دائرة العذاب .

أقصد؛ لا تخدع نفسك ولا ترضى بالوهم، ولا ترضي غرورك بالباطل،
عِش الحقيقة ، وافهم الواقع .

لذا .. فإنني أريدك أن تنظر لرمضان نظرة جديدة وواقعية تناسب هذا الزمان ، انظر لرمضان بنظرة إيمانية .. فتراه كالبحر ..

نعم أحبتي..

رمضان يشبه البحر..

البحر عظيم؛ امتن الله علينا بتسخيره : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢].

تجري على سطحه الفلك بالمنافع ، وتسكن في قعره كنوز اللؤلؤ والمرجان ، وبين هذا وذاك تسبح خيرات اللحم الطري .

لكن هذه الخيرات والكنوز ليست لكل من يدخل البحر!

بل أستطيع أن أقول : لا يقصدها كل من دخل البحر أو رأى البحر .

تفكر قليلاً قليلاً ، أغمض عينيك ، وحاول أن تقوم بعملية حسابية .

كل شيء في البحر كثير كثير ؛ الخير كثير .. والخطر أيضًا كثير !

يا الله !! كم حمل البحر أقوامًا لمنافعهم ، وأعطاهم ومنحهم ..

وكم ابتلع البحر من غرقى وأهلكهم ..

وهكذا رمضان .. كم فيه من ناجٍ .. وكم فيه من خاسر !!

سماء البحر : نجوم ، وسماء رمضان : ملائكة تتنزل لسماع القرآن .

قعر البحر : لحم طري ، لؤلؤ ومرجان ، وليالي رمضان : عتق وغفران .

اللحم الطري في البحر ، يشبهه في رمضان العبادات السهلة ، الجميلة ، وفي نفس الوقت : المُوَصِّلة لرضا الله عز وجل .

أميَز شيء في رمضان دون غيره من باقي الشهور جماعية الطاعة؛ الأمة كلها صائمة ..

الأمة كلها تصلي التراويح ..

الأمة كلها تقرأ القرآن .. المصاحف في كل مكان ..

الأمة كلها تقوم الليل .. كأن الأمة كلها في المساجد ..

الأمة كلها تفطر في وقت واحد ..

الأمة كلها مستيقظة في وقت السحر تأكل وتدعو ، وتصلي الصبح ..

جماعية الطاعة .. هذا هو رمضان ، وبركات رمضان ، وألطاف رمضان ، ونفحات رمضان .. لحم طري .

اللؤلؤ والياقوت والمرجان في البحر .. يشبهها في رمضان جواهر الغفران : فللصائم دعوة مستجابة ، ولله كل ليلة عتقاء من النار ، وتفطيرك للصائم يهبك مثل أجره ..

سبحان الملك!!

وخذ أيضًا إشارة؛ كم وصَل البحر محبًا لحبيبه، وكم وَصَلَ المحبون برمضان إلىٰ التقوىٰ والرضوان!!

سبحان الله العظيم!!

كم في البحر من خير لقوم هو شر علىٰ آخرين! إعصارٌ قتل، وشرّد، وأمات، وأباد..

لكن؛ كم شفىٰ قلوب الموحدين، وأذهب غيظ قوم مؤمنين، شماتةً في الذين عذّبوا المسلمين!

ينشق البحر لموسىٰ: رحمةً له ولقومه، وهو غمّ علىٰ فرعون وقومه!

الموجة التي ترفع السفينة لأعلىٰ، إلىٰ أن تصل إلىٰ السماء، هي نفس الموجة التي تُغرق الذين لم يركبوها!

وكذلك رمضان سعادة لقوم، وشقاء علىٰ آخرين!

تأمل النفحات التي تُرسَل وتفيض مع أول لحظة من لحظات رمضان:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ**»(١).

سبحان الله.. من أول موجة!

لكن الانتفاع بهذه النفحات ليس لكل مَن أدركها..

ليست المنة فقط في إدراك فتح أبواب الجنة، وتصفيد الشياطين؛ لأن رمضان كالبحر، ليس كل من رآه أو نزل فيه يفوز بما يحويه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٤٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٣٩).

تأمل: قال الله عز وجل في سورة النحل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

اقرأ الآية جيدًا.. النعمة ليست هي البحر.. النعمة تسخير البحر.

فأسأل الله أن يسخر لنا رمضان كما سخر لنا البحر بنعمته..

ولذا؛ ففي الحديث الضعيف: «يَسْتَأْذِنُ الْبَحْرَ أَنْ يَنْقَضَّ».

فالبحر ليس هو النعمة.. وإنما تسخيره هو النعمة..

وكذلك رمضان؛ مجرد إدراكه ليس هو الفوز، وإنما الفوز في اغتنام بركاته:

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْ صَاحِبِهِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا وَقَدْ خَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَا إِلَيَّ، فَقَالَا لِي: ارْجِعْ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدَخَلَ هَذَا الْجَنَّةَ قَبْلَهُ! فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟» قَالُوا: بَلَى، «وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟» قَالُوا: بَلَى، «وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا سَجْدَةً فِي السَّنَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَلَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[1].

أدرك رمضان... فصامه حقًّا.

ولاحظ الفرق بين مجرد الإدراك وبين الإيمان والاحتساب:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٢).

قال رسول الله ﷺ : «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(١)] .

وقال ﷺ : «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(٢)] .

إذًا هو الإيمان والاحتساب شرطان لحصول الأجر وللفوز ببركات رمضان .

أما إدراك رمضان بلا توفيق ، فليس فقط خسارة حسنات ، وإنما شقاء وعذاب!

إن لم يُغفر لك في رمضان ، فأكبر مصيبة نزلت عليك أنك أدركت رمضان!!

لذا ؛ فهذا الكتاب ينذرك الغرق ، يعلمك الإبحار إلى بر الفردوس الأعلى .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ» فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ : «قَالَ لِي جِبْرِيلُ عليه السلام : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ»[(٣)] .

تأمل هذه الألفاظ : «رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ» و : «فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ» . .

وتأمل هذه الكارثة نعوذ بالله منها : «فَقُلْتُ : آمِينَ» !

سيد ولد آدم ، حبيب الله ﷺ ، يُؤَمِّنُ على دعاء كبير ملائكة الرحمن ، جبريل عليه السلام فيقول : «آمين» ، إنه دعاء فمن أن يستجاب ، وكأن قد!!

فإذا استقر عندك ذلك . . فهلم إلى مركب الاستعداد لاغتنام بركاته . . فرَّ إلى سفينة النجاة من النار . . اركب فلك التهيؤ لعلو الهمة في العبادة .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (١٩١٠) ، ومسلم (٧٦٠) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (١٩٠٥) ، ومسلم (٧٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦) ، وصححه الألباني في «فضل الصلاة على النبي» (١٥) .

يا بُنَيَّ اركب معنا

إذا كان نوح عليه السلام قد نادىٰ ابنه في طوفانٍ يُغرِق ، فتَهلك به الأجساد ، فها أنا ذا أخي أناديك من وسط طوفانات الفتن التي تحيط بقلبك في رمضان أنِ :

اركب معنا .. ولا تخسر رمضان!

اركب معنا .. ولا تكن من الهالكين!

اركب معنا .. ولا تكن من المذنبين !

اركب معنا .. ولا تكن من الغافلين !

اركب معنا .. لنبحر نحو الفردوس الأعلىٰ من الجنة .

قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِي ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ هَذِهِ »[1] .

اللَّهُمَّ نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

إن كنت من عشاق النجاة ... اركب معنا!

إن كنت تطلب الوصول ... اركب معنا!

إن كنت تبحث عن جنةِ الأرض .. اركب معنا!

إن شقَّ عليك حرّ الصيف وعَرَقُه .. اركب معنا!

إن كنت تبحث عن الأمـان .. اركب معنا!

إلىٰ كل مشتاق للفردوس الأعلىٰ .. اركب معنا!

إخوتي ...

هيا ننطلق ؛ لنسير في هذه الرحلة ، وتعالوا نفتتحها ببركات كلام الله :

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) .

قال الله عز وجل : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣٦-٤٤].

عندما نتأمل نداء سيدنا نوح لابنه : ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ نجد العجب! فالرسم العثماني للمصحف، أقصد الخط نفسه، وكتابة الكلمة نفسها فيها أسرار، والتجويد في التلاوة أيضًا له أسرار..

سبحان الملك !!

هذه أقدار، وأحكام التجويد فيها أسرار.

(ارْكَمَّعَنَا) إدغام الباء في الميم كأنها تقول : «التصق بنا لنصبح شيئًا واحدًا».

(ارْكَمَّعَنَا) حذف حرف ؛ إشارة إلى السرعة!

(ارْكَمَّعَنَا) أدرك نفسك!

(ارْكَمَّعَنَا) صرنا نحن والركوب شيئًا واحدًا ؛ فكن معنا!

والإدغام مع الغنة فيها معنى التماسك بعد التلاصق، فكأنه يتمسك به

بشدة ولا يفلت يده من يده ، ولا يدعه لحظة واحدة ؛ لأنها النجاة . . نجاة نفس من النار . . إرادة نجاة من قلب مشفق علىٰ من يحب .

وكأني به يذكرني بنبينا ﷺ حين قال : «فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»[1] ، أي : ممسكٌ بوسط بدنكم ، قد التفّت يداي حول خواصركم وفوق الحَقْو منكم ، ومعاقد الأزار ، انظروا كيف يجاهد النبي ﷺ ويحاول أن يمسك بنا حتىٰ لا نقتحم النار !!

(ارْكَبْمَعَنَا) غنة فيها كل معاني التمسك بإنجائه حتىٰ آخر لحظة من المحاولة . . المجاهدة والمحاولة والتمسك بها . .

وإنما هي الصحبة ، واختيار الطريق والقدوة ، واصطفاء الصديق والصراط : صراط الذين أنعمت عليهم ، أو صراط الذين غضب عليهم والضالين .

وانظر إلىٰ النداء : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ ، أي أن الولد كان منعزلاً . . سبحان الملك !

تأمل كيف تمر السفينة والأمواج ترفعها ، وهي تجري بهم في موج كالجبال . . تأمل كيف أنها تمر علىٰ هذا المعزل !

كم من شخص ممن يتقلب في مزالق المعاصي والغفلة كـ «الإنترنت» والقنوات وغيرها . . فإذا بالدعوة تبلغه دون أن يقصد التعرض لها ، ولكنها تصل إليه وتمر به وتدعوه : اركب معنا .

الله يكرمه بالهداية بينما كان هو في معزل . . فمررنا به نقول له :

«اركب معنا» . .

لعل هذا الكتاب أهدي إليك ، أو وقعت عينك علىٰ هذه الصفحة الآن دون قصد منك ، فوجدتني أقول لك : «اركب معنا» ، هيا ، أدرك نفسك !

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٦١١٨) ، ومسلم (٢٢٨٤) .

خذ مكانك في سفينة النجاة .. سفينة الوصول إلىٰ ربك .. الذي يناجيك ويناديك كل ليلة : «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟»[1].

وهذا رمضان يناديك :

يا باغي الخير أقبل .. ويا باغي الشر أقصر ..

هيا .. قم .. وهيا نلبي معًا نداء الله .. ونداء رمضان .

هيا نتسابق للجنان والرضوان ..

اركب معنا لتعتق ..

أعتق نفسك مما أنت فيه واركب معنا ..

أعتق نفسك لتعتق ..

وخلاصة هذا الفصل : أن تتيقن هذه الحقيقة الخطيرة ، وأن تتيقظ بهذه البصيرة :

رمضان كالبحر!

في البحر : كنوز .. ووحوش ..

في البحر : مَن غَرِقَ وهو سائر إلىٰ ربه ، «وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ»[2].

وفي البحر : مَن أُغرِقَ وهو سادر في ذنبه : ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

سماء البحر : نوارس وغربان ، وكذلك رمضان : رابح ومغبون ، وفائز ومحروم ، ونشيط وكسلان ، معتوق ومُلْقًىٰ في النيران ..!

لنتَّفق إذن في هذا الفصل علىٰ تعظيم الموسم ، وإجلال المسابقة ، والاستعداد بنفسية التحدي ، والإصرار علىٰ الفوز .

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٨).

الفَصْلُ الثَّانِي

وقفة صادقة مع النفس !

«الصِّدْقُ : هو منزل القوم الأعظم
الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ،
والطريق الأقوم الذي من لم يَسِرْ عليه
فهو من المنقطعين الهالكين»

ابن القيم - مدارج السالكين


الربانية
yaqob.com

وقفة صادقة مع النفس

حبيبي في الله...

تعالَ معي إلىٰ هذه الوقفة الصادقة :

لماذا تقرأ هذا الكتاب؟ لماذا تلتمس كلمات الاستعداد؟

صحح نيتك ، وطهر طويتك ؛ لتبلغ مرادك ، ويتم في الدارين إسعادك ؛ لكي تصبر علىٰ خطوات الاستعداد ، وتنالَ العِتق ، والفردوس الأعلىٰ من أول ليالي رمضان إن شاء الله .

في البداية أناديك، بل أناشدك.. أرجوك..

اصدق.. اصدق.. اصدق!

عليك بالصدق..

يقول الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] .

ويقول رسول الله ﷺ ناصحًا : «إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ»[١] .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في «منزلة الصدق» : «هو منزل القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ، والطريق الأقوم الذي من لم يَسِرْ عليه فهو من المنقطعين الهالكين» ، إلىٰ أن يقول : «فهو روح الأعمال ، ومحك الأحوال ، والحامل علىٰ اقتحام الأهوال ، والباب الذي دخل منه الواصلون إلىٰ حضرة ذي الجلال ، وهو أساس بناء الدين ، وعمود فسطاط اليقين ، ودرجته تالية لدرجة «النبوة» التي هي أرفع درجات العالمين» .

---

(١) أخرجه النسائي (١٩٥٣) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٤١٥) .

ولا سبيل لهذا الصدق إلا بوقفة جادة مع النفس ؛ لتصدق مع نفسك ، وتصدق مع ربك ..

والوقفة مع النفس يحين وقتها خصوصًا في زمان الاستعداد لرمضان!

هات يدك وتعالَ معي .. نقف وقفة للمحاسبة قبل الإبحار ..

هيًا التفت .. انظر خلفك!!

لابد قبل ركوب السفينة من التفتيش والمرور عبر جهاز الكشف عن العيوب ، تعالَ إلى أسئلة العمر :

تعال بهدوء وروِيَّة .. لسنا أمام وكيل نيابة .. أو محكمة بشرية تستطيع خداعها!!

إنك لا تحتاج إلى ذلك أبدًا لأنك :

أولاً : تريد الإصلاح ، وتريد النجاة ، وتريد أن تكون عند ربك مرضيًا .

ثانيًا : لأن هذا العمل لله عَزَّوَجَلَّ ، والله سميع بصير عليم خبير : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

ثالثًا : الحقيقة إن لم تظهر اليوم فستظهر : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

تعالَ إلى الصدق، وقفة لابد لها أولاً من نية :

(١) طاعة لأمر الله :

قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللَّهِ»[1].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة علىٰ مَن حاسب نفسه في الدنيا».

وقال ميمون بن مهران رحمه الله: «لا يكون الرجل من المتقين حتىٰ يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، حتىٰ يعلم من أين مطعمه، ومن أين ملبسه، ومن أين مشربه، أَمِن حلال ذلك أم من حرام؟».

وعن الحسن رحمه الله قال: «إن المؤمن قَوَّامٌ علىٰ نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خَفَّ الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة علىٰ قوم أخذوا هذا الأمر علىٰ غير محاسبة، إن المؤمن يفجؤه الشيء ويعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلىٰ نفسه فيقول: ما أردت إلىٰ هذا، ما لي ولهذا، والله مالي عذر بهذا، ووالله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعىٰ في فكاك رقبته لا يأمن شيئًا حتىٰ يلقىٰ الله عز وجل، يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله».

(٢) للتوبة وتجديد العهد مع الله.

(٣) لإصلاح ما فسد والانتباه من الغفلة.

(٤) لاستدراك الفائت والاجتهاد للاستدراك قبل فوات العمر.

تعالَ إلى الأسئلة بهدوء ورَوِيَّة، وأجبني حالاً وأنا أسأل:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٦٣٩)، وقال: حديث صحيح الإسناد، وصححه ووافقه الذهبي.

(١) كيف مضت هذه السنة بحُلوها ومُرِّها ،

هل أنت راضٍ عن نفسك في هذه السنة ؟

(٢) كيف كانت محاسبتك لنفسك علىٰ مدار السنة :

كل يوم . . كل أسبوع . . كل مصيبة وحادثة . .

أم نسيت وغفلت وفاتتك المحاسبة طوال السنة ؟

(٣) كيف أنت في أيام السنة : صخرة أم قشَّة ؟

هل كنت صخرة تتحطم عليها أمواج الشهوات والشبهات بالثبات ؟

أم كنت قشة يتلاعب بها التيار وسبحت مع التيار في كل شهوة عرضت وكل شبهة وردت ؟

(٤) كيف حال الشهوات هذه السنة ؟

هل كان همك من دنياك لقمة تأكلها وشربة تشربها وصاحبًا أو صاحبة يشبع شهوتك ورغباتك ؟ أم غلب هَمُّ الآخرة ؟

(لا تقل ساعة وساعة ؛ بل أجب بالأعم الأغلب) .

(٥) ما الذي آلمك في هذه السنة :

منصب فاتك . . مالٌ ضاع . . أذىٰ البشر ؟

أم نقصان دينك ، وغفلة قلبك ، وضعف طاعاتك ؟

(٦) مرَّت في السنة مسرَّات كثيرة وآلام كثيرة :

ما أشدَّ ما آلمك وما أعظم ما سرَّك ؟ تجدُهُ دنيا أو آخرة ؟

(٧) ما هو شغلك الشاغل الذي أهمك في هذه السنة ؟

تجد أنك تزرع للآخرة ، أم أنك تجتهد للدنيا والشهوات والناس ؟

(٨) هل ترىٰ أن طاعاتك زادت في هذه السنة وتحسَّنت نوعيًا؟

ما الذي زاد تحديدًا؟ وما الذي تحسَّن فعلاً :

الصلوات؟ حضور القلب؟ حضور الجماعة؟

(أريد منك التفكير بتركيز : ما الذي نقص من طاعاتك وفقدته أو افتقدته في هذه السنة؟) .

(٩) كيف حال أخلاقك في تعاملاتك هذه السنة؟

هل زادت الحِدَّة؟ أم زادت الرحمة والرأفة؟

(١٠) كيف حال الحب والكره في قلبك؟

حب المال ، حب النساء ، حب المناصب ، حب اللهو ، حب نفسك . .

حب الله ، حب العبادة ، حب المصحف ، حب الخير للآخرين ، حب الدين ، حب الصالحين . .

(١١) ترىٰ في هذه السنة ماذا أصلحت مما فسد في السنين الماضية؟

علاقتك مع والديك وإخوتك وأرحامك؟ تعاملاتك مع من حولك؟

(١٢) في مجال الحلال والحرام :

هل زاد علمك بأحكام الحلال والحرام في الدين؟

هل زاد الحلال في حياتك أم الحرام؟

في مالك . . في فكرك . . في علاقاتك . . في قلبك . .

في حياتك وواقعك ومن حولك . .

(١٣) هل أخذت في هذه السنة عند الفتاوىٰ والأحكام :

بعزائم الأمور وبالأحوط في الدين؟

أم أخذت بالاستسهال واتباع الهوىٰ؟

(١٤) العلم الشرعي : ما هو دورك الذي أديته هذه السنة تجاهه؟

هل تعلمت شيئًا جديدًا في التفسير . . الفقه . . الحديث . . العقيدة؟

هل ساعدت علىٰ نشر العلم الشرعي بطريقة ما؟ كفالة داعية أو طالب علم . . توزيع كتاب . . أو المساهمة في نشر كتاب؟

(١٥) تعتقد في هذه السنة أنه كان لك منهج في الحياة؟

هل سرت علىٰ خطة لإصلاح دينك ودنياك؟

أم تركت الأمور تجري كيفما اتفق، ومر بك العمر وضاعت السنة؟

(١٦) بالنسبة والتناسب : هل أديت الحقوق هذه السنة بنسبة كم **بالمائة :**

* حق الله عليك : العبادة، الصلاة، الذكر، الحب . . .
* حق زوجتك .
* حق أولادك .
* حق والديك .
* حق أرحامك .
* حق جيرانك .

(١٧) هل زاد غض البصر عندك، أم زاد إطلاق البصر؟

(١٨) هل زاد سعير الشهوة في قلبك، أم خَفَّ وكرهت المعاصي؟

(١٩) هل انضبط لسانك، أم كَثُرَ كلامك؟

(٢٠) الأمر بالمعروف :

هل دللت علىٰ خير؟ هل أمرت بالمعروف؟

هل نصحت لله؟ هل علَّمت أحدًا خيرًا؟

(٢١) النهي عن المنكر :

هل نهيت عن المنكر؟ هل زجرت عن الشر؟

هل ساعدت على الإقلاع عن المعاصي؟

هل أنكرت على المعاصي التي تراها؟

(٢٢) بالنسبة للمعاصي المعتادة كم معصية أقلعت عنها؟

وكم معصية أقلعت عنها ثم عدت إليها؟

تظن كم معصية ارتكبتها في هذه السنة؟ تقريبًا بالتقريب كم؟

(٢٣) هل تظن أنك في خلال سنة كنت دليلًا على الخير داعية إلى الإسلام، بسمتك، وفعلك، وتصرفاتك، ومواقفك؟

أم أنك شجعت الآخرين على ارتكاب المعاصي، وصددت عن سبيل الله؟

(٢٤) مرّت معارك خلال السنة كثيرة: معارك مع الشيطان يؤزُّك على المعاصي، ومعارك مع النفس تأمرك بالسيئات:

* تذكر كم مرة انتصرت على الشيطان ولم تفعل ما دعاك إليه؟

* تذكر كم مرة انتصرت على النفس ولم تأت ما حملتك عليه؟

* أم أنك كنت تسارع في تلبية نداء النفس والشيطان؟

(٢٥) هل جاهدت النفس والشيطان أصلًا أم لم تخطر على بالك المجاهدة؟

(٢٦) هل ترى نفسك:

ألين وأطوع وأقرب إلى الحق وحب السير في الطريق إلى الله؟

أم أنها كما هي؟ أم أنها صارت أسرع إلى المعاصي وأكثر تطلعًا للشهوات؟

(٢٧) سؤال بصراحة : هل شبعت نفسك؟ نعوذ بالله من نفس لا تشبع :

* شبعت من المال؟
* شبعت من النساء؟
* شبعت من النوم؟
* شبعت من أنواع الأكل؟
* شبعت من المدح؟
* شبعت من الأصحاب وكثرة من حولك؟

متى ستشبع؟

زمن الغرس:

أحبتي في الله..

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

والاستعداد لا يكون قبل رمضان بيوم أو يومين؛ وإنما بشهرين، هكذا البداية تبدو واضحة منذ بداية شهر الخير: من شهر رجب.

وكأن رجب ثم شعبان هما الاستعداد الحقيقي لرمضان.

ومن سَبَرَ أحوال السلف وخبرها عَرَفَ ذلك عن يقين.

ودعك من تهويل البطالين من كلمة حق يراد بها باطل، من قولهم: إن تعظيم رجب من عمل أهل الجاهلية، نعم: هو حق، رجب كان معظمًا في الجاهلية، ولكن الإسلام أقر هذا التعظيم، والقرآن العظيم، ورسول الله ﷺ؛ وهذا أيضًا فعل سلفنا الكريم..

تعالوا إلى البداية من البداية.

مع دخول رجب .. تحلُّ علينا وظيفة هامة تخص شهر رجب نفسه كشهرٍ حرامٍ، وفي نفس الوقت هي وظيفة خطيرة كركيزة قوية للانطلاق في رحلة الاستعداد لرمضان، والإبحار إلىٰ الفردوس في بحر رمضان بعد ذلك.

تأمل هذه الآية لتعرف المطلوب منك الآن تحديدًا:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

إن وظيفة الربانيين إذا أهلَّهم شهر رجب: مجانبة الظلم؛ مراعاةً للشهر الحرام، لا بد أن تراعي أنك في موسم حرام .. شهر حرام .. أيام حرام .. ساعات حرام .. دقائق حرام ..! فتتقي الظلم؛ يقول رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

هذه وظيفة الربانيين في رجب: التوبة من الظلم والكف عنه؛ لأنه شهرٌ حرام.

والظلم أنواع، وكلها خطر .. خطرٌ عظيم ..

قال رسول الله ﷺ: «الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ؛ فَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ، فَالشِّرْكُ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ، فَظُلْمُ العَبْدِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ، فَظُلْمُ العِبَادِ، فَيَقْتَصُّ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[2].

فالشرك والمعاصي ومظالم العباد كلها ظلم، ظلمات بعضها فوق بعض، ولكنها كلها تقصم الظهور وتحبط الأعمال، فلابد إذًا من التطهر من الظلم بأنواعه، التطهر من البداية استعدادًا: التخلية قبل التحلية: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٥١)، ومسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٩٦١).

وحين تتطهر من ظلمات الظلم كلها .. فإنك حينئذ ستكون قد ركبت مركب الاستعداد لرمضان، وأبحرت نحو بر العتق؛ لأن أول ما يجب على طالب التزكية: التخلية قبل التحلية..

فأول ما نتجهز به .. أن نتخلى ونتطهر من رواسب الجاهلية وأنواع الظلم كلها؛ لنسير إلى الله بقلوب سليمة إن شاء الله.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «يا هذا، طهر قلبك من الشوائب؛ فالمحبة لا تلقى إلا في قلب طاهر، أمَا رأيت الزارع يتخيرُ الأرض الطيبة، ويسقيها ويرويها، ثم يثيرها ويقلّبها، وكلما رأى حجرًا ألقاه، وكلما شاهد ما يُؤذي نحّاه، ثم يُلقي فيها البذر، ويتعاهدها من طوارق الأذى؟!».

هكذا المؤمن مع قلبه.. مثل البستاني مع بستانه.

نعم أخيّ، مَثَلُ المؤمن مع قلبه مثل البستاني مع بستانه، وفي القلب عشرة بساتين، يدخل كل صباح بساتين قلبه ويخرج، يقلع ويزرع، فيقلع ما لا يصلح فيها، ويزرع ما تحتاج إليه.

وإليك بساتين قلبك، جهزها للزراعة، واقلع ما فيها من حشائش ضارة، ثم ازرعها بما يجعلها تليق بأن تكون موضع حب الله والشوق إليه سبحانه:

١) بستان التوحيد:

يقلع: الشك، والشرك، والرياء، والنفاق.

ويزرع: التوحيد، والإخلاص، والصدق.

٢) بستان اليقين:

يقلع: الحرص، والأمل، والشين، والحقد، والرغبة.

ويزرع: الرضا، والقناعة، والصبر، والغنى بالله.

٣) بستان معرفة الله :

يقلع : التشبيه ، والتمثيل ، والتأويل ، والتعطيل .

ويزرع : الإثبات مع التنزيه ، والأدب ، والتسليم .

٤) بستان المحبة :

يقلع : الانشغال بالأغيار ، وحب الخلق والديار .

ويزرع : تعلق القلب بالله وحده ، والأنس ، والهيبة .

٥) بستان العلم :

يقلع : الجهل ، والحمق ، والتسرع .

ويزرع : الصبر ، والتواضع ، واحتقار النفس .

٦) بستان الحلم :

يقلع : الغضب ، والحمية ، والتعزز ، والخيانة ، والعجز .

ويزرع : التسامح ، والعفو ، وحسن الظن ، والنصيح .

٧) بستان النقل والسنة :

يقلع : البدعة ، والمحدثات ، والزينة ، والأهواء .

ويزرع : الاتباع والتجرد ومخالفة الهوىٰ .

٨) بستان الحلال :

يقلع : الحرام ، والشبهة ، والطمع ، والاستكثار .

ويزرع : السعي ، والرضا ، والقناعة ، والزهد .

٩) بستان البذل والسخاء :

يقلع : البخل ، والمنع ، والطمع .

ويزرع : الكرم ، والجود ، والإيثار ، وغنىٰ النفس .

١٠) بستان التواضع والخشوع :

يقلع : الكبر ، والعجب ، والغرور ، والقسوة .

ويزرع : الانكسار ، والعفو ، والذلة للمؤمنين .

فيا أخي ...

هذه هي الطريق قد فُتحت لك . . منذ أَهَلَّكَ رَجَبٌ . . فهلم يا مشمر . . هلم أيها المحب . .

كيف تتوقف مع نفسك ؟ (العزلة الشعورية)

قبل أن تركب معنا لنبحر إلىٰ الفردوس ، ستقابلك نقطة تفتيش ! لابد من هذه الوقفة قبل رمضان : وقفة مع النفس ، وشرطُنا في هذه الوقفة : الصدق .

اللَّهُمَّ ارزقنا الصدق ، واجعلنا من أهله .

إخوتي في الله ...

لابد من التهيؤ والاستعداد ، لابد من التطهُّر والتطهير ، وهذا يحتاج إلىٰ وقت ، وتفريغ قلب ، وصفاء ذهن ؛ لتتضح الرؤية ، وليتضح الأمر أكثر دعني أوضح لك :

قبل أن تنزل الرسالة علىٰ النبي محمد ﷺ ، -والأرض كانت مليئة بالشرور والفساد- كان ﷺ يَخْرُج الليالي ذوات العدد يتحنث في غار حراء .

ولمَّا نزلت عليه الرسالة أخذ أصحابه إلىٰ دار الأرقم بن أبي الأرقم في عُزْلَةٍ شعورية عن المجتمع الجاهلي يومها .

وكان ﷺ يخرج إلىٰ بطن نخلة ، إلىٰ وادي الجن ؛ ليصلي هناك وحده .

ثم شرع بعد ذلك لأمته الاعتكاف ، والمقصود منه الخروج ، والخلوة ، والانفراد ، والعزلة الشعورية ، أن ينفصل الإنسان عن الواقع شعوريًا لفترة مؤقتة .

في وسط هذا الصراع المحموم علىٰ الشهوات والأموال وحبّ التسلُّط . . في وسط هذا الصراع الشرِّير بين البشر . . يحاول الإنسان . .

يحاول المؤمنُ الراغبُ في الوصول إلىٰ الله أن يخلو ، أن ينزع نفسه انتزاعًا ، من هذه الأوساط وتلك البيئات ؛ ليُغَيِّر من نفسه ابتداءً ، ثم يُغَيِّر من واقعه .

فيتحول بعد ذنوبٍ قد علا الران بسببها علىٰ القلوب ؛ لينتقل إلىٰ عالم إيماني رحب ، إلىٰ الحياة في أجواءِ ومناخات السلف ﷺ ، ليعيش معانيَ أُخَر وواقعًا آخر .

إنه ينتقل شعوريًا - بعد أن ينعزل شعوريًا - ليعيش في المدينة ، حيث أقيمت الأمة ، حين أقيم أول مجتمع إيماني إسلامي متكامل بَحت ؛ ليعيش مع النبي محمد ﷺ وأصحابه ﷺ ، فيسير وراءه خطوة خطوة ، يتأسىٰ به ، ويعلو يقينه بالثبات خلفه .

هذه هي الوقفة . . التي لابد منها مع النفس قبل الإبحار ، نقطة التفتيش الخطيرة ، ولابد لهذه الوقفة من العزلة الشعورية عن الواقع ، ولو لسويعات بصفة مؤقتة ، والانتقال شعوريًا إلىٰ واقعٍ آخر إيماني نحلم به ، وخلال هذه العزلة مع النقلة ، يقف الإنسان ليقيِّم نفسه (من أنا؟) .

قبل الإبحار لابد من هذه الوقفة : من أنت؟ وأين أنت؟

لذا لابد دومًا قبل السفر ، أن تعرف : أين أنت؟ وإلىٰ أين تريد؟ حتىٰ تعرف الطريق قبل سلوك الطريق .

والآن . . تعالوا إلىٰ عناصر هذه الوقفة المصيرية مع النفس ؛ لتعرف كيف تتوقف مع نفسك ، فتدخل برمضان إلىٰ الفردوس الأعلىٰ إن شاء الله تعالىٰ :

أولاً : الاعتراف بالأخطاء والإقرار بالعيوب :

أَتَذْكر رمضان الماضي؟ قد مرَّت عليك سنة ، وما أسرعها من سنة !

قف اليوم وقفة ، لتنظر إلىٰ ذنوب ومعاصي سنة ، وعيوب سنة ، وهموم سنة ، وآلام سنة ، لتنظر إلىٰ سنة بمآسيها وحسرة مآقيها . .

ذنوب سنة وخطايا سنة ، تأمَّل : كبائر وصغائر ، غفلة وتفريط ، إهمال وتضييع ، تذكر فترات اليقظة قليلة ، ولحظات علو الهمة نادرة .

أُخيَّ . . . إنه بحر ، إمَّا ناج وإمَّا غريق ، والمركب مركبك . .
فلن تصلحها إلا إذا اعترفت بعيبها .

إياك أن يصيبك الغرور ، ويغرك بالله الغرور ، اعترف بخطئك ، وأقر بعيوبك ؛ فالاعتراف يهدم الاقتراف ، ويُيَسِّر عليك التوبة ، ويقيك التمادي والإسراف ، قال الله عز وجل : ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

وقال الله العزيز العليم : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل : ١١٩] .

ولابد للاعتراف بالخطإ والإقرار بالعيوب من أمور :

١) أن تتخلَّص من الكبر :

أُخيَّ . . . ذِلَّ وانكسر ، فإن الكبر يمنعك من الاعتراف ، ويدفعك إلىٰ رفض اتهام النفس والتوبة من الذنب .

قال رسول الله ﷺ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[(١)].

وبطر الحق يعني رده، حين أقول: إنَّ فيك كبرًا، إياك أن ترد وتقول: «لا»؛ هذا بطر الحق، فاعترف بالحق.

قال الإمام الذهبي رحمه الله في السير -تعليقًا على قول أيوب السختياني: «ما صدق الله عبدٌ أحب الشهرة»-: «وعلامة المخلص الذي قد يحب الشهرة وهو لا يشعر أنه إذا اتُّهِمَ لم يبرئ نفسه، بل يسيء الظن بها، ويقول: اللَّهُمَّ اغفر لي ما أعلم وما لا أعلم وما أنت به أعلم».

لا تُبَرِّئ نفسك، ولا تدافع عنها، ولا تحسن الظن بها.

لما شَتَمَ رجلٌ وكيعًا وأساء إليه، حثا وكيع على رأسه التراب وقال: «زد وكيعًا بذنوبه».

وقد قال الذهبي رحمه الله: «ويرحم الله وكيعًا، ومَن مثل وكيع؟!».

فلابد قبل الإبحار أن تتخلص من عقدة الكبر التي تغرقك في بحر العيوب، وقعر البحر جهنم، فإن تحت البحر نارًا، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مقدار ذرة من كبر، أولاً: تخلص من الكبر.

٢) تخلص من العجب:

شهر رمضان شهر الصوم وضمور البطون وضعف الأبدان.. لا يليق به أن تعجب بنفسك أبدًا؛ لأن إعجابك بنفسك يمنعك من رؤية حقيقة عيوبك؛ فتطغى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧].

كثر في هذه الأيام المعجب بنفسه، الراضي عن نفسه!

يقول ابن القيم رحمه الله في منزلة المحاسبة في «مدارج السالكين»: «ومتى

(١) أخرجه مسلم (٩١).

رضيت نفسك وعملك لله ؛ فاعلم أنه عنك غير راض ، ومن عرف ربه وعرف نفسه ، فأنَّىٰ له أن يرضىٰ بعملٍ لله؟!» .

قال أحدهم : «والله إني لأخرج من الصلاة وأنا أشد حياءً ممن قام عن الزنا ، أهذه صلاة تُعْرَض علىٰ ربي؟» .

لابد أيضًا قبل الإبحار ألا تعجب بنفسك ولا بعملك ولا بمركبك ؛ إنما الوصول وحصول النجاة بفضل الله وحده ، فَتَخَلَّص من الإعجاب أيضًا .

٣) تخلص من الغرور :

فالمغرور يرىٰ سيئاته حسنات .

قال ﷻ : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وقال ﷻ أيضا : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

هذه مصيبة ، أن يكون الإنسان علىٰ الباطل ، ويظن أنه علىٰ الحق . . أن يكون متكبرًا وهو يرىٰ أنه متواضع ، أن يكون مخطئًا ويتوهم أنه مصيب ، أن يُفسد ويزعم أنه يصلح ! قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢] .

والمغرور لا يقبل النصيحة ، فيهلك من حيث يرىٰ أنه سينجو ، فلابد أن تتواضع وتقبل نصيحة من ينصحك ، ولا تحتقر أحدًا ولا شيئًا ؛ بل التمس الخير ممن جاء به .

٤) اكشف السترة الضبابية لترىٰ من هم أفضل منك :

قد يبتلىٰ الإنسان في بصيرته بذنوبه ، فيصبح أعور البصيرة ، أو أعشىٰ البصيرة ، فلا يجيد التمييز ، نعوذ بالله من عمىٰ البصيرة ، وعَوَر البصيرة هو أن يرىٰ الإنسان الأمور من جانب واحد ، أما عشىٰ البصيرة فهو أن يرىٰ الأمور علىٰ غير حقيقتها .

يالها من شبورة تقابلك علىٰ سلم الباخرة!! فمن غرَّته أوقعته قبل أن يركب، وأغرقته قبل أن يُبحر.

بعض الناس رؤيته ضبابية، لا يرىٰ أحدًا، يرىٰ نفسه المتميز الوحيد في هذا العالم، فهو وحده الذي يفهم، وهو وحده المجتهد في طلب العلم، وهو وحده الغيور علىٰ الأمة، وهو وحده الذي يدافع عن التوحيد، وهو وحده الذي يُحيي معاني الجهاد، وهو وحده الذي يشمّ روائح الشهادة في سبيل الله، وهو وحده الذي.. وهو وحده الذي.. إلخ.

لا يرىٰ أحدًا في العالم غير نفسه.. مسكين هذا الإنسان!!

لو انزاحت عن عينيه ضبابية عبادة الذات.. ضبابية تأليه الذات؛ لرأىٰ غيره ممن لم يكن يراهم، وهم أفضل منه.. سبقوه وعرفوا ربهم قبله.

لو تأملت في آيات الأعراف: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

قد يكون بجوارك ممن لا تعده، قد يكون من حولك ممن تغتمصه ولا تقدُره، وقد سبقك إلىٰ الله وعلاك، وإنما ضَبَّبَ رؤيتك حَكرُ عينيك علىٰ نفسك، افتح السُّكر ترَ الماء زلالا.

ثانيًا: سرعة اتخاذ القرار بالتخلص والعلاج:

الوقت ضيق جدًا.. إذا أقلعت الباخرة فلن يوقفها بطيء..

البطيء سيجد نفسه وحيدًا في عرض البحر، والبحر خطر، والوحدة قاتلة.

حين تجلس في خَلوتك أُخيّ، وتقرر ذنوبك وعيوبك، لا تتوقف عند هذا الحد! كثيرون هم ممن يقول: «أنا سيئ»، يقول: «أنا مذنب»، ويعترف ويسرد عيوبًا، يقول: أنا أسأت في كذا وكذا، وأخطأت كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا..

ثم ماذا؟؟

لا شيء.. اعتراف و.. فقط!

لا يتجاوز هذه المرحلة «مرحلة الاعتراف» وهنا لم نكن قد أتينا بشيء، ولا فعلنا شيئًا، ليس الاعتراف يصنع شيئًا، إنما عرفت واعترفت، فيجب عليك أن تبدأ علاجًا.. أن تبدأ إصلاحًا.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

أين عملك لله بعد اعترافك بالتقصير؟!

تأمل آيات الاعتراف.. كلها معلقة على العمل: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٢-١٠٥].

فقال عز وجل بعد ذكر اعترافهم وتوبة الله عليهم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾، ثم جمع الاعتراف والعمل في آية تالية: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، ثم أكد من جديد على العمل في آية خاصة، فقال عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾.

هذا العمل بعد الاعتراف بمثابة الدواء التكميلي للعملية الجراحية: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٠]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

وينبغي أن نعلم أيها الإخوة، أنه كما أن بعض الأمراض والأدواء قد تحتاج إلى حبة دواء، شربة دواء، أو حقنة، وانتهت القضية.. بينما هناك أمراض أخرى تحتاج إلى جلسات تكميلية؛ لأن الأمراض ليست سواء،

فكذلك أمراضُ الروح وأمراضُ القلوب وأمراض النفوس ، قد يحتاج الأمر إلىٰ قرار بالتوبة وانتهت القضية .

وقد يحتاج المرض أو العيب إلىٰ علاج ومداواة سنين طويلة ، فالتخلص من كثرة الكلام ، من الكذب ، من شهوة الإساءة إلىٰ الناس . . قضية ، والتخلص من شهوة النساء والنظر إليهن ، والتعلق القلبي بهنّ شيء آخر ، وتعلق القلب بحب الدنيا وحب المال ، شيء ثالث ، وتعلق القلب بحب التسلط علىٰ الناس ، حب الشهرة ، حب الظهور ، أمر رابع . والخيانة ، وأكل أموال الناس بالباطل أمر خامس . . وسادس . . وعاشر . .

كل مرض من هذه الأمراض المختلفة قضية مختلفة ، لها علاج مختلف .

أيضًا من الضوابط في هذه المسألة : «مسألة العلاج» أنه ليس هناك علاج جاهز يصلح لجميع الأشخاص في جميع الأحوال ، ولكن هناك تركيبة خاصة لكل حالة ، ولتعذر إيجاد الطبيب والصيدلي ، الطبيب الذي يُشَخِّص ويَصِف ، والصيدلي الذي يركب ويعطي ويتابع ؛ فتكون العلاجات مطروحة والاجتهادات واردة ، ليتناول كل منا ما يُصلح مرضه . . فالأمرُ يخضع للتجارب ، جرّب هذا العلاج وادخل علىٰ الله بيقين ، وإن لم يثمر معك فخذ علاجًا آخر ، وثالثًا ورابعًا ، فإنه إن لم ينفعك لن يضرك ، وكن علىٰ يقين أن علاجًا ما فيه سر شفائك .

لكن ... لا تتعجل ، بل اصطبر وسيؤتي العلاج ثمرته .

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وقال رسول الله ﷺ : «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ ؛ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٤) .

إخوتي ...

بعد جلسة الاعتراف بالخطإ والإقرار بالعيوب، لابد من سرعة اتخاذ القرار بالتخلص من الذنوب والعيوب، والبدء فورًا بتناول العلاج، وأوّل هذه العلاجات، أن تبدأ فورًا بالبحث عن المربِّي.

وأنا أقول للشباب اليوم، قولاً حاسمًا، قاطعًا: إن الذي يبحث أن يربيه شيخٌ من المشهورين الذين ابتلوا ببلاء الشهرة، فإنه مغرور، مخدوع، يخادع نفسه ودينه، هؤلاء قد أتاهم ما يشغلهم، نسأل الله أن يعفو عنا وعن الجميع.

وإنما ابحث عن الشيخ الذي بجوار بيتك، الذي يراك في صلواتك الخمس، الذي يراك يوميًا، ويستطيع أن يتابعك، الذي يعيش معك في نفس البيئة، ونفس الظروف، ونفس الواقع، هذا هو الذي يستطيع أن يساعدك، وإن لم يكن شيخًا مشهورًا، وإن لم يكن خطيبًا مُفوّهًا، وإن لم يكن أديبًا رصينًا، وإن لم يكن .. وإن لم يكن ..

وإنما فقط سبقك في الطريق إلىٰ الله، وقطع منه خطوات، فيتّسِم بالخبرة في الحياة، والعلم بالدين، هذا يكفيك.

ثم .. أنت وهو، حين تستعينون بكلام العلماء الكبار، وكلام المشايخ الذين لهم تخصص في هذا الأمر، بكتبهم ومحاضراتهم، وأشرطتهم، ولقاءاتهم، ورسائلهم، أنت وهو، تتناقشان فيها وتأخذ علاجك، ويتابعك عليه.

ثالثًا: التخلص من عقدة تأخير ضربة البداية

يقول ربي وأحق القول قول ربي: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال عز وجل: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

كثيرًا ما تتأخر عندنا البداية، لذلك أحذركم من «السين وسوف»: الذي

يقول سأبدأ من رمضان . . أنت تضيع نفسك ، ابدأ من الآن ؛ فقد تموت اليوم . . للذي يقول سأبدأ في رمضان . . ابدأ من الآن فقد يأتيك في رمضان ما يشغلك .

وكثيرًا ما سردت هذه القصة ؛ أن أحد إخواننا منذ سنوات ، وكنا ندعوه «تعال يا بني ، أين أنت يا بني ؟ اجلس يا بني ، انتبه يا بني» ، وكان يقول : أنا سأفرغ نفسي في رمضان كله ، سأقضيه في مكة وأؤدي عمرة ، وأختم كل كذا وكذا . . وقبل رمضان بثلاثة أيام ، مرض أبوه ، وابتلي بالسرطان ، وحُمِلَ إلىٰ فرنسا ، وقضىٰ رمضان في باريس بدلاً من مكة ، يفطر ويقصر ويجمع و . . !

١) ابدأ فورًا .. وبدون تردد .. من هذه اللحظة :

إنني أريد أن آخذ عهدًا وعقدًا معك الآن ، أن تبدأ فورًا ومن هذه اللحظة بتوبة نصوح . . شاملة مخلصة .

أن تبدأ منذ الآن ، منذ هذه اللحظة باستخراج العيوب والذنوب ، وأخذ قرار العلاج ؛ ابدأ فورًا . . وبدون تردد . . من هذه اللحظة .

٢) هناك مُسَلَّمَاتٌ لا جدال فيها :

فإذا قلنا : إن أمور العلاج عمومًا حتىٰ في الأمراض البدنية تخضع للتجارب -الكل يجرب ثم قد ينجح العلاج وقد لا ينجح- لكن هناك مسلَّمات في الدين ، ثوابت لا تقبل المناقشة ، مسلَّمات لا جدال فيها .

كما أن هناك ما ثبت نجاحه من العلاج علىٰ كثرة التجارب ، والله يقول لنا : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ويقول عز وجل : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

من المسلمات مثلاً : أنه لابد في هذا الطريق من الخضوع والذل لله ، أنه لابد من التضحيات ، أنه لابد في هذا الطريق من أن ينالك الأذىٰ ، وأنه لابد للعلاج من أن يخالف هوىٰ النفس ، لابد !

﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

٣) لا بد من تكامل بين العلم والخبرة

أيها الإخوة...

كثيرًا ما أردد أن القضية ليست في : «ها هو الدليل» !

يا شباب . . . إننا لسنا مأمورين شرعًا بتطبيق الشرع على أي واقع كان ؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات ؛ وإنما نحن مأمورون أولاً وفي البداية أن نوجد الواقع الذي نقيم فيه شرع الله . . مأمورون حتمًا ، وملزومون إلزامًا بإيجاد الواقع الذي نقيم فيه الشرع .

إن بعض الناس يقيم شرعًا وهميًا علىٰ الشاشة ، أو علىٰ الأوراق ، أو في خياله ، والواقع شيء آخر ، لذلك أقول : لابد من تكامل بين العلم والخبرة ، يقولون : إن المفتي لا بد أن يكون عنده علم بالشرع وعلم بالواقع ، بمعنىٰ أن يعرف أن الخمر حرام ، ويعرف أن هذه خمر ، فيقول : هذه حرام . . أن يعرف أن الربا حرام ، وأن يعرف أن هذا التعامل ربوي ، لابد من أن يعرف الأمرين .

فلابد من تكامل بين العلم والخبرة ، ولذلك إذا اعترفت بقلة الخبرة ، فينبغي عليك أن تستسلم لأهل الخبرة ، الذين لا ينقصون عنك في العلم أو يتكاملون معك في العلم .

فلذلك إذا ذكرنا لكَ مرضك ؛ أنك مغرور ، أنك معجب ، أنك راضٍ

عن نفسك ، أنك متكبر جدًا ، أنك ترى نفسك أنك وأنك ، فبالخبرة يأتي الكلام ، نقول : إن علاجك أن تسكت ، علاجك أن تنعزل قليلًا ، علاجك أن تحتجب ، علاجك . . . . علاجك . . فلتستسلم للعلاج ؛ ليأتي بثمره .

ولابد قبل الإبحار من علاج ؛ فإن المريض الذي يبذل جهدًا يزداد مرضه ولابد ، ويأتي الخطر بعد ذلك ، فقبل الإبحار للفردوس -وهو يحتاج إلى مشقة وجهد- لابد من العلاج ؛ لتتعافى قبل الإبحار من كل أمراضك : القلبية والعقدية .

رابعًا : الصبر الطويل والصبر الجميل

لن يعبُرَ البحرَ إلا صابرٌ . . ورمضان شهر الصبر . .

قال الملك عَزَّوَجَلَّ : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

يتفق كل العلماء بأن (الزمن جزء من العلاج) ، لابد من مرور مراحل معينة ، لابد . هذه سُنَّة كونية لا تتخلف .

لابد للطفل أن يتدرج في مراحل التعليم : ابتدائي ، ثم إعدادي ، ثم ثانوي ، ثم الجامعة (مراحل النضوج) ، لماذا تريد أنت في مجال العلم الشرعي أو في طريق السير إلى الله أن تتخطى هذه المراحل ؟

كيف تصعد أعلى البيت دون أن ترتقي درجات السلم من أوله ؟!

الزمن جزء من العلاج ، لابد من الصبر الجميل ، والصبر الطويل ، لابد أن تصبر على العلاج حتى يؤتي ثمرته .

عندما تأخذ علاجًا لـ «ميكروب» أو فيروس في بطنك . . أسأل الله أن يشفي كل مريض مسلم ، وأن يعافي كل مبتلى مسلم ، اللَّهُمَّ عافهم ولا تبتلنا . . يقول لك الطبيب : يجب أن تأخذ اثنتي عشرة حبة ، تأخذها خلال أربعة أيام ، لابد أن تأخذها كلها للقضاء على هذا المرض ، وهكذا الدين ،

هكذا أمراض القلوب، هكذا أمراض العقول، هكذا أمراض الذنوب والمعاصي؛ لابد من زمن، لابد من وقت، لابد من مساحة ومداومة على العلاج.

قال كثير من السلف: «عالجت قيام الليل عشرين سنة، ثم استمتعت به عشرين سنة»، «عالجت شهوتي عشرين سنة»، «حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني قلبي عشرين سنة».

ولكن.. احذر أن تجعل التدرج وسياسة الخطوة تكأة للتسويف، تقول: «اصبروا عليَّ»!!

لا، إنما القضية ينبغي أن تتَّسم بالصبر الإيجابي، يعني فعل الصبر وعمل الصبر، لا السلبية والترك، الصبر الإيجابي أن يظهر عليك جديد في كل يوم، في الصلاح والإصلاح.

لا يكن صبرك تسويفًا؛ وإنما زد في طاعاتك، وتخلص من آفاتك واحدة بعد الأخرى.

الشباب اليوم - وللأسف الشديد - يجدون دعاة يتبنون قضية التسويف للشباب، يقول له: تب اليوم من ترك الصلاة.. لكن لا يلزمك أن تصليَ الصلاة في وقتها.. ثم التزم بالصلاة في وقتها!!

يقول للأخوات: قَلِّلْنَ من «المكياج»! ثم البسن «الإيشارب»! ما هذا؟!

لا تدرج في ترك المحرمات، ولا في فعل الواجبات.

قال رسول الله ﷺ: **«مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

التدرج يكون في النوافل ، والتنزه عن المكروهات والمباحات ، أما ترك الحرام ففورًا ، أما فعل الواجب ففورًا ، فلذلك لا تجعل الصبر والتدرج ، وسياسة الخطوة خطوة ، تكأةً للتسويف والتأخير وتضييع الوقت .

وخلاصة هذا الفصل :

لابد من وقفة مع النفس ، عند أول خطوة على الطريق ، ولابد خلال هذه الوقفة من العزلة الشعورية عن الواقع ، والحياة في أجواء ومناخات السلف .

وكيفية هذه الوقفة :

أولاً : الاعتراف بالخطإ والإقرار بالعيوب .

ويكون بالخطوات التالية :

١) تخلص من الكبر ؛ ذِل وانكسر .

٢) تخلص من العجب ؛ لأن إعجابك بنفسك يمنعك من رؤية عيوبك .

٣) تخلص من الغرور ؛ لأن المغتر يرى سيئاته حسنات .

٤) اكشف السُّترة الضبابية ؛ لترى مَنْ هم أفضل منك ، وخيرٌ منك .

ثانيًا : سرعة اتخاذ القرار بالتخلص والعلاج .

١) بعض الأمراض تحتاج إلى دواء ، وبعض الأمراض تحتاج إلى عمليات جراحية صغيرة أو كبيرة .

٢) ليس هناك علاج جاهز يصلح لجميع الأحوال ، ولكن هناك علاج يركّب لكل حالة ، باختلاف الشخص والمرض .

ثالثا : التخلص من عقدة تأخير ضربة البداية .

١) ابدأ فورًا ، وبدون تردد في هذه اللحظة .

٢) عمومًا ، الأمر يخضع للتجارب ، ولكن هناك مُسَلَّمات وثوابت ، لا جدال فيها .

٣) لابد من تكامل العلم والخبرة .

رابعًا : الصبر الطويل والصبر الجميل :

١) الزمن جزءٌ من العلاج .

٢) احذر أن تجعل التدرج ، وسياسة الخطوة خطوة تكأة للتسويف .

٣) الصبر الجميل صبر إيجابي ، يعني فعل الصبر وعمل الصبر ، لا السكون والترك .

إخوتي في الله ...

أنا أحبكم في الله ...

هذه خطوة على الطريق ، وهذا هو الكلام النظري ، وبقي عليك العمل ، قبل أن تنتقل إلى الفصل الآتي الخطير .

قلب جديد .. بتطهير دورة الدم الإيمانية ...

اللَّهُمَّ إنا نسألك علمًا نافعًا ، ونعوذ بك من علمٍ لا ينفع .

أحبكم في الله .. وهيا إلى العمل ...

الفَصْلُ الثَّالِثُ

قلب جديد

(تجديد الدورة الإيمانية)

تعلقت امرأة بأستار الكعبة وقالت :

يا وحشتي بعد الأنس ، ويا ذلي بعد العز ، ويا فقري بعد الغنى ،

فقيل لها : مالك؟! أَذَهَبَ لك مال أو أُصِبْتِ بمصيبة؟!

قالت : لا ، ولكن كان لي قلب ففقدته ،

قيل لها : هذه مصيبتك؟!

قالت :

وأي مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟!!


الربانية
yaqob.com

قلب جديد

حبيبي في الله...

ما إحساسك عند امتلاك شيء جديد؟؟

سيارة.. شقة.. وظيفة.. مكافأة.. ملابس..

تأمل فرحة الطفل الصغير عندما يأتيه أبوه بملابس العيد الجديدة!

إن هذه الفرحة الغامرة باللباس الجديد، وهذا المعنى الراقي لمشاعر الفرح.. وضعه رسول الله ﷺ في الحديث التالي:

«إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»[1].

إنها الفرحة بلباس الإيمان الجديد، فرحة غامرة بفضل الله ورحمته: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ولكن دعني أتساءل لأكتشفك:

هل ترى أن دروس التذكير بالاستعداد لرمضان صارت مكررة عليك؟

هل صار كلام الوعظ والتذكير لا يؤثر في قلبك؟

هل جمدت عيناك عن البكاء عند سماع القرآن؟

إنك إذن تحتاج إلى.. قلب جديد!

هل أعجبتك المواعظ.. لكنك تفتقد لحظة الاقتحام والبدء؟

إنك إذن تحتاج إلى.. قلب جديد!

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٥).

هل تحركت فيك الأشواق.. ثم قَعَدَتْ بك همتك عن الوصول؟

إنك إذن تحتاج إلىٰ.. قلب جديد!

هل نويت أن تدخل برمضان الفردوس الأعلىٰ من الجنة؟

إنك إذن تحتاج إلىٰ.. قلب جديد!

أنا أبوك.. وقد جئتك بهدية.. قلب جديد.

هل تقبل هديتي؟

إنني -وأنا أدعوك إلىٰ الإبحار- أقول لك:

أنت تحتاج إلىٰ قلب جديد وعزيمة من حديد،

لذلك لا شك أن إيمانك يحتاج إلىٰ تجديد.

نعم أحبتي في الله...

نريد أن نجدد الدورة الإيمانية كلها..

فكما أن جسم الإنسان تنتشر فيه شرايين وأوردة متصلة بالقلب ينتقل فيها الدم عبر كل الجسم.. فتصبح حياته رهن سير هذه الدورة.. وصحته ومرضه يتصلان بشدة بهذه الدورة.. فكذلك الإيمان.

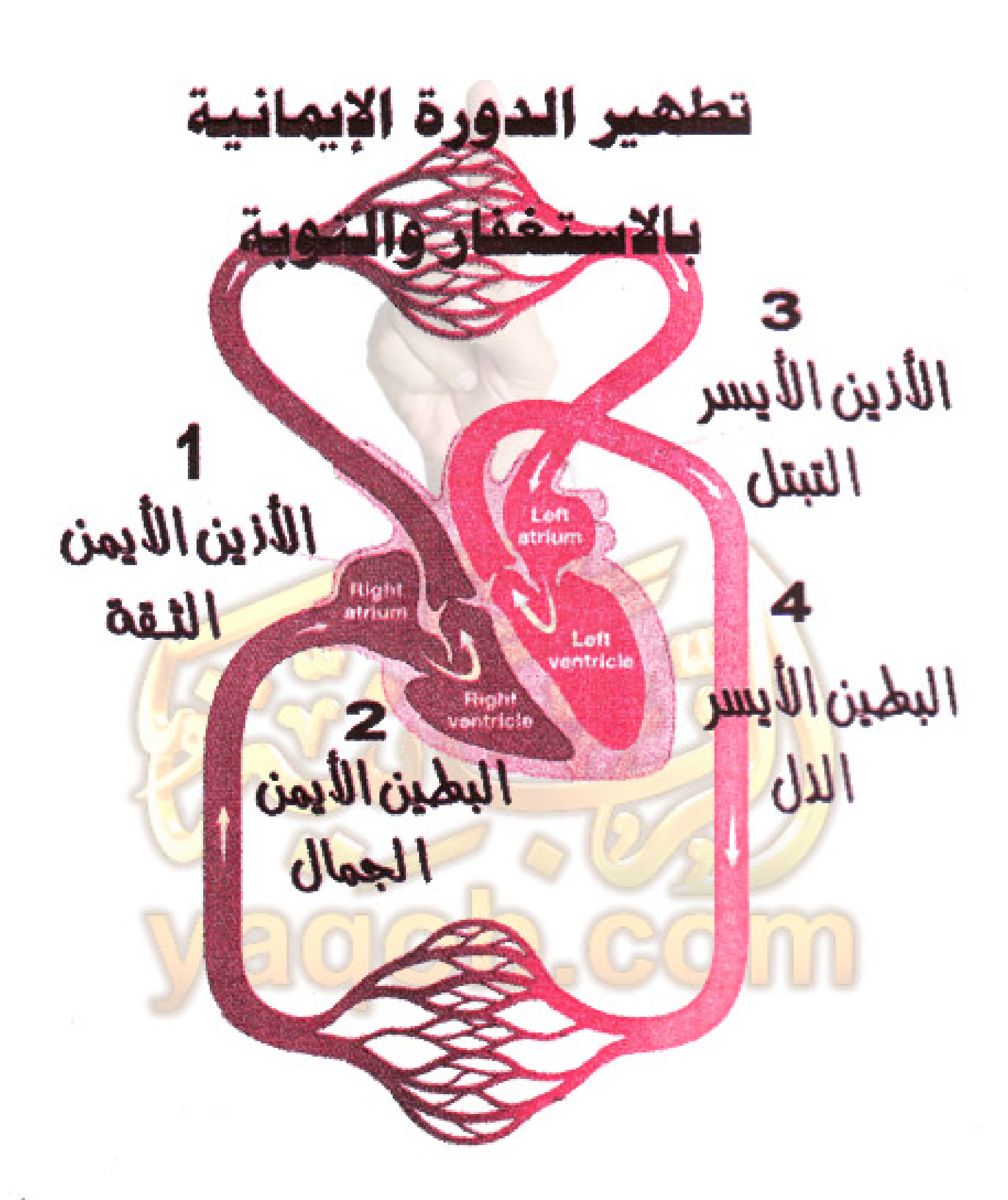
هناك دورة إيمانية تؤثر في حياة القلب، تجدِّد انشراح الصدر، وتنعش الروح.

وإذا كان القلب كما يرسمه الأطباء يتكون من أذينين وبطينين.. فإن القلب الجديد الذي نريد أن نجدد به الإيمان.. له أيضًا أذينان وبطينان.. وشرايين تنتشر في أنحاء النفس.

وإذا كانت أهم وظيفة للدورة الدموية هي نشر الدم النقي في الجسم، وجمع الدم الملوث لإعادة تطهيره؛ فإننا أيضًا نبتدئ الآن بأهم ما في الدورة الإيمانية الجديدة..

التزكية: وهي التطهير والنماء.

تطهير الدورة الإيمانية بالاستغفار والتوبة



تطهير الدورة الإيمانية (بالاستغفار والتوبة):

تأمل العلاقة بين التطهر والتوبة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فكلاهما طهارة للباطن والظاهر، للروح والبدن.

اللَّهُمَّ تب علينا توبة نصوحًا، اللَّهُمَّ تب علينا توبة ترضيك.

إخوتي في الله... خذوا مني هذا الأصل - وأنا أحبكم في الله -:

إن السعادة في الدنيا مرتبطة بالسعادة في الآخرة ارتباطًا وثيقًا؛ هذا دين.

إن السعيد في الآخرة.. الذي سيسعد في الآخرة بالجنة، لابد أن يكون سعيدًا في الدنيا سعادةً حقيقيةً.

ولِمَ لا؟ و: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣].

وكيفَ لا؟ و: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ يعني في الدنيا، ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ يعني مرجع في الآخرة.

طوبىٰ أي: حياة طيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ولِمَ لا؟ والتائب حبيب الرحمن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولِمَ لا؟ والله يفرح بتوبة عبده المؤمن، فإذا فرح الملك الجليل الله؛ أثاب العبد علىٰ فرحه فرحًا من جنسه، من جنس التوبة أقصد.

فمن اللازم إذن أن يكون التائب بالتوبة سعيدًا وفرحًا.

ولذلك؛ نريد الإعداد للإبحار إلىٰ الفردوس الأعلىٰ بقلب جديد، وتجديد

القلب لا يكون إلا بالتوبة بلا شك، أليس قد قال ربنا عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]؟ فأصبحت السيئات حسنات، وصار الحال مختلفًا، كان أسودَ فصار أبيضَ، كان نجسًا فصار طاهرًا، كان ممزقًا فأصبح سليمًا، كان تائهًا فأصبح مستنيرًا ويسير وراء الدليل..

اللَّهُمَّ تب علينا توبة نصوحًا،

اللَّهُمَّ تب علينا توبة ترضيك وترضىٰ بها عنا، اللَّهُمَّ ارزقنا قبل الموت توبة.

وإذا كنت بصدد تطهير قلبك، فعليك أن تعلم أولاً ما هي آفاته وأمراضه، وما الذي أفسده عليك:

مفسدات القلب الخمسة:

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما مفسدات القلب الخمسة، فهي التي أشار إليها من كثرة الخلطة، والتمني، والتعلق بغير الله، والشبع، والمنام، فهذه الخمسة من أكبر مفسدات القلب.

المفسد الأول: كثرة المخالطة:

فأما ما تؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتىٰ يسوَدّ، ويوجب له تشتُّتا وتفرقًا وهمًا وغمًا وضعفًا، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسيم فكره في أودية مطالبهم وإرادتهم، فماذا يبقىٰ منه لله والدار الآخرة؟

هذا وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية، وهل آفة الناس إلا الناس؟

وهل كان علىٰ أبي طالب عند الوفاة أضر من قرناء السوء؟! لم يزالوا به حتىٰ حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد.

وهذه الخلطة التي تكون على نوع مودة في الدنيا وقضاء وطر بعضهم من بعض تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة ، ويعض المخالط عليها يديه ندمًا كما قال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال عز وجل : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال إبراهيم عليه السلام لقومه : ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وهذا شأن كل مشتركين في غرض ، يتوادُّون ما داموا متساعدين على حصوله ، فإذا انقطع ذلك الغرض أعقب ندامةً وحزنًا وألمًا ، وانقلبت تلك المودة بغضًا ولعنةً وذمًا من بعضهم لبعض .

والضابط النافع في أمر الخلطة : أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة ، والأعياد والحج ، وتعلم العلم والجهاد والنصيحة ، ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات .

فإذا دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم : فالحذر الحذر أن يوافقهم ، وليصبر على أذاهم ، فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر ، ولكن أذى يعقبُه عزٌّ ومحبة له وتعظيم ، وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ، ومن رب العالمين ، وموافقتهم يعقبها ذُلٌّ وبُغْضٌ له ، ومقتٌ وذمٌّ منهم ، ومن المؤمنين ومن رب العالمين ، فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلاً .

وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه .

المفسد الثاني من مفسدات القلب: ركوبه بحر التمني:

وهو بحرٌ لا ساحل له ، وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم ، كما قيل : إن المنىٰ رأس أموال المفاليس ، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة ، والخيالات الباطلة ، تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة ، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية ، ليست لها همّة تنال بها الحقائق الخارجية ، بل اعتاضت عنها بالأمانيّ الخسيسة .

وكلٌ بحسب حاله : من متمن للقدرة والسلطان ، وللضرب في الأرض والتطواف في البلدان ، أو للأموال والأثمان ، أو للنسوان والمردان ، فيمثل المتمني صورة مطلوبة في نفسه وقد فاز بوصولها ، والتذَّ بالظفر بها ، فبينا هو علىٰ هذه الحال ، إذ استيقظ ، فإذا يده والحصير !!

وصاحب الهمة العَليّة أمانيه حائمة حول العلم والإيمان ، والعمل الذي يقربه إلىٰ الله ، ويدنيه من جواره .

فأماني هذا إيمان ونور وحكمة ، وأماني أولئك خِدَعٌ وغرور .

وقد مدح النبي ﷺ متمنيَ الخير ، وربما جعل أجره في بعض الأشياء كأجر فاعله ، كالقائل : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان الذي يتقي في ماله ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويخرج منه حقه ، وقال : هما في الأجر سواء .

وتمنىٰ ﷺ في حجة الوداع : أنه لو كان تمتع وحل ولم يسق الهدي ، وكان قد قرن ، فأعطاه الله ثواب القران بفعله ، وثواب التمتع الذي تمناه بأمنيته ، فجمع له بين الأجرين .

المفسد الثالث من مفسدات القلب: التعلق بغير الله تبارك وتعالىٰ:

وهذا أعظم مفسداته علىٰ الإطلاق ، فليس عليه أضر من ذلك ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه ، فإنه إذا تعلق بغير الله وكَلَه الله إلىٰ ما تعلّق به ، وخذله من

جهة ما تعلق به ، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل ، بتعلقه بغيره والتفاته إلىٰ سواه ، فلا علىٰ نصيبه من الله حصل ، ولا إلىٰ ما أمّله ممن تعلّق به وصل .

قال الله تعالىٰ : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢] .

وقال عز وجل : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥] .

فأعظم الناس خذلانًا من تعلق بغير الله ، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه ، أعظم مما حصل له ممن تعلّق به ، وهو مُعرَّض للزوال والفوات ، ومثل المتعلق بغير الله : كمثل المستظلّ من الحرّ والبرد ببيتِ العنكبوت ، أوهن البيوت .

وبالجملة : فأساس الشرك وقاعدته التي بُنِيَ عليها : التعلق بغير الله ، ولصاحبه الذمُّ والخذلان ، كما قال تعالىٰ : ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢] ، مذمومًا : لا حامد لك ، مخذولاً : لا ناصر لك ، إذ قد يكون بعض الناس مقهورًا محمودًا كالذي قُهِرَ بباطل ، وقد يكون مذمومًا منصورًا كالذي قهر وتسلط بباطل ، وقد يكون محمودًا منصورًا كالذي تمكّن وملك بحق ، والمشرك المتعلق بغير الله قِسمُه أردأ الأقسام الأربعة ، لا محمود ولا منصور .

المفسد الرابع من مفسدات القلب : الطعام :

والمفسد له من ذلك نوعان :

أحدهما : ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات وهي نوعان :

الأول : محرمات لحق الله ؛ كالميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وذي الناب من السباع ، والمخلب من الطير .

الثاني : ومحرمات لحق العباد كالمسروق والمغصوب والمنهوب وما أخذ بغير رضىٰ صاحبه إما قهرًا وإما حياءً وتذممًا .

والآخر: ما يفسده بقدره وتعدي حده، كالإسراف في الحلال والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها حتىٰ يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها والتأذي بثقلها، وقوىٰ عليه مواد الشهوة وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقها، والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيرًا شرب كثيرًا فنام كثيرًا فخسر كثيرًا، قال تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وفي الحديث: «**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ**»[١].

ويحكىٰ أن إبليس لعنه الله عرض ليحيىٰ بن زكريا عليهما السلام فقال له يحيىٰ: هل نلت مني شيئًا قط؟ قال: لا، إلا أنه قُدِّم إليك الطعام ليلة فَشَهَّيْتُهُ إليك حتىٰ شبعتَ منه، فنمتَ عن وردك، فقال يحيىٰ: لله عليَّ أن لا أشبع من طعام أبدًا، فقال إبليس: وأنا لله علي أن لا أنصح آدميًا أبدًا.

المفسد الخامس من مفسدات القلب: النوم:

فإنه يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل، ومنه المكروه جدًا، ومنه الضار غير النافع للبدن، وأنفع النوم: ما كان عند شدة الحاجة إليه، ونوم أول الليل أحمد وأنفع من آخره، ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه، وكلما قرب النوم من الطرفين قل نفعه وكثر ضرره، ولا سيما نوم العصر والنوم أول النهار إلا لسهران.

ومن المكروه: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس؛ فإنه وقت غنيمة، وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة، حتىٰ لو ساروا طول ليلهم لم

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٤٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٧٠٤).

يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت حتىٰ تطلع الشمس ؛ فإنه أول النهار ومفتاحه ، ووقت نزول الأرزاق وحصول القسم وحلول البركة ، ومنه ينشأ النهار ، وينسحب حكم جميعه علىٰ حكم تلك الحِصَّة ، فينبغي أن يكون نومها كنوم المضطر .

وبالجملة فأعدل النوم وأنفعه : نوم نصف الليل الأول وسدسه الأخير ، وهو مقدار ثمان ساعات ، وهذا أعدل النوم عند الأطباء ، وما زاد عليه أو نقص منه أثر عندهم في الطبيعة انحرافًا بحسبه .

ومن النوم الذي لا ينفع أيضًا : النوم أوَّل الليل عقيب غروب الشمس حتىٰ تذهب فحمة العشاء ، وكان رسول الله ﷺ يكرهه ، فهو مكروه شرعًا وطبعًا ، وكما أن كثرة النوم مورثة لهذه الآفات فمدافعته وهجره مورث لآفات أخرىٰ عِظَام : من سوء المزاج ويبسه ، وانحراف النفس ، وجفاف الرطوبات المعينة علىٰ الفهم والعمل ، ويورث أمراضًا متلفة لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها ، وما قام الوجود إلا بالعدل ، فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير ، والله المستعان» .

ثم تعالوا أيها الإخوة .. إلىٰ غُرَف القلب الأربعة ..

الثقة ، والجمال ، والتبتل ، والذل

الأذين الأيمن (الثقة)

هذا أمر في غاية الخطورة ، يحتاج منا إلىٰ وقفةٍ حقيقية في هذه الأيام؛ وعلاقة الكلام عن الثقة بزمن الاستعداد : أن كثيرًا من السالكين تعطلوا بسبب الالتفات للقادحين ، وضيعوا أوقاتهم ، وفرَّقوا همتهم في محاربة الوهم!

ولا ريب أن الصد والدفاع مهم .. لكن من غير إسراف ولا التفات ؛ قال الله عز وجل لموسىٰ عليه السلام حين عبر البحر : ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ

مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤]، لما التفت ليضرب البحر ليغرق فرعون وجنوده ناداه ربه : ليس هذا من شأنك أنت ، انطلق ولا تلتفت ؛ فالثقة هي الحل!

حبيبي في الله...

تأمل هذه الآيات لتعلم شيئين عظيمين : أن الله تعالىٰ كان يعلم أن الكفار سيُشَغِّبُون علىٰ دينه ، وأنه سبحانه قرر وكرر حقارة شأنهم ، وسفاهة شبهاتهم ، فرد سبحانه عليهم وكفاك مؤونة ذلك ؛ لتُفَرِّغ قلبك لمحبته وعبادته ، ولا تشتت نفسك بالالتفات إلىٰ شبهاتهم ، قال الله ﷻ :

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٣-١٠٤].

انظر لهذا الاحتقار الرهيب!

الله يرد عليهم بكلمة واحدة ، بجملة واحدة كافية رادعة دافعة ، وكأنه يقول للمسلمين : لا تلتفتوا . . لا تنشغلوا بالرد عليهم ولا تفنيد شبهاتهم ، كونوا علىٰ ثقة مما أنتم فيه .

يحكي ابن مسعود ﷺ عن لحظات ضربه في نادي قريش وهو يقرأ القرآن ، فيقول : «والله ما كانوا أهون في عيني من حينذاك» .

في خضم الضرب.. ثقة!

ولذلك يذكر الحديث أن الدجال حين يقتل المهدي ثم يبعثه يقول له الدجال : آمنتَ الآن أني ربك؟ فيقول المهدي : «بل أنا الآن أشد بصيرة فيك : أنت الدجال الأعور الكذاب» ، إنها الثقة !!

أخي...

كن علىٰ ثقةٍ من دينك . إنهم ضُلَّال . . لا يعلمون . . لا يهديهم الله . . كف عن التقليب في شبكاتهم وقنواتهم ونشراتهم . . لا تطلب النصر في أرضهم . . كيف ترجىٰ هدايتهم في منتدياتهم . . والله يقول : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٤]؟

ضَجُّوا لأن شخصًا اسمه محمد تنصَّر!!

جرائد الفضائح مهتمة بالقضية! لماذا؟! طالما في المقابل هناك الآلاف الذين يدخلون في الإسلام كل يوم في العالم ، وهناك العشرات الذين يدخلون كل يوم في دين الإسلام في مصر!

وسبحان الله!! لو قرأنا كلامهم وكلامه هو شخصيًا في الجرائد لعجبنا .

لماذا تنصّر؟ لأجل النقود . . لأجل الشهوات .

فليتنصّر ، هل هذا يهزنا؟ هل هذا يقلقنا؟ كل من يريد أن يتنصر من أجل المال أو من أجل الشهوات لن يضرنا في شيء ، ولن يؤذينا في شيء ، والذين يتباكون علىٰ حد الردة فليتباكوا علىٰ بقية الحدود بالمناسبة؛ وهل يوجد حد من الحدود مطبق الآن!!

هذا حد من الحدود؛ وهو حق ، وكل الحدود حق ، لكنني أقصد أن مثل هذه الأحداث يجب ألا تهزك ، بالعكس ، انظر إلىٰ الواقع ، وستجد أنَّ هذا الأمر أحدَثَ غيرةً عند المسلمين علىٰ دينهم ، واسأل ، تجد الناس ثائرين ، لقد أثيرت الحمية للدين ، وهذا شيء جميل ، ويصب في مصلحة الإسلام في النهاية .

وَلِتَكُون علىٰ ثقة من دينك ؛ أقصّ عليك هذا الكلام وأحدّثك به من واقع :

حُدّثت أن طبيبة كلمتها إحدىٰ كبيرات المجتمع تريد أن تختن بنتيها ، فقالت لها الطبيبة : «أنا لا أختن» ، فردت عليها قائلة : «لا . . بل إنك تختنين» .

فقالت الطبيبة : «الأمر ممنوع الآن» ، وأجابتها : «دعكِ من هذا الكلام ، نحن نعلم أنه ما دام قيل إنه حرام إذن فهو الحلال» .

ماذا تريد أكثر من هذا لكي تثق بدينك؟!

الطبيبة -وأنا لا أعرفها- تقسم أن عندها خمس عشرة حالة يوميًا لمدة ثلاثة شهور ، وأنا أقسم لك بالله أن ما أقوله لك حق وصدق بيقين .

حارَبوا القبر ، عذابه ونعيمه؛ فما ازداد الناس إلا يقينًا في عذاب القبر ونعيمه . . ولله الحمد .

حاربوا الحجاب؛ فما ازداد الحجاب إلا انتشارًا . . ولله الحمد .

حاربوا النقاب ؛ فتمسكت به كل فتاة مسلمة وامرأة حرة ، تحب ربها ونبيها ، حتىٰ تقول الإحصاءات إن سبعة عشر بالمائة من نساء مصر منتقبات .

وهكذا ؛ بين الحين والآخر يُظهر لنا العلمانيون مسألة ، فيثور الناس ، وكل مسألة يثيرونها يزداد الناس بها تمسكًا ، وتفتح مسائل للعوام ليسألوا ويستفيدوا ، والكل يتعلم ، والكل يتكلم في الدين .

سبحان الملك!! الله يعمل لدينه ويدبر له!!

كن علىٰ ثقة . . . الثقة في الشريعة ، فروع الشريعة ، اللحية ، النقاب ، الختان ، حرمة الربا والبنوك ، عذاب القبر ونعيمه . . .

كن يا بني علىٰ يقين من الحق الذي أنت عليه ، ليس لأجل فلان من البشر ، ليس لأجل أي بشر ، ولكن لأجل الملك عَزَّوَجَلَّ ، فهو صاحب الشريعة .

إذن المطلوب :

أولاً : الثقة في الله ؛ في أن الله يعمل لدينه : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٣] .

ثانيًا : الثقة في رسول الله ﷺ ؛ في أنه الكمال البشري على الإطلاق ؛ وأنه معصوم ﷺ : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] .

ثالثًا : الثقة في القرآن الكريم ؛ في أنه كلام الله ، فالشك في حرف منه كفر وردة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] .

رابعًا : الثقة في شريعة الإسلام بفروعها وأصولها : ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] .

الثقة . . غرفة محكمة في قلبك الجديد ؛ ليسلم لك دينك ، ثم تستقيم الدورة الإيمانية ، فتجد الصمامات التي بين الأذين والبطين تعمل جيدًا على مقتضى مراد الله منك ، تفتح وتغلق تحت حراسة إيمانية . فتسير إلى الله بقلب جديد ، قوي وطاهر .

وأحكم الكلام الذي يريح قلب المشغول بما يمكرون ، والخائف مما يكيدون ، والقلق مما يفترون ، والمتذبذب مما يدبرون . . هو أن يصغي قلبك لقول الكبير القهار عز وجل : ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١] .

فهذا هو الأذين الأيمن : الثقة في الله ، وفي دين الله ، وفي رسول الله ﷺ ، وصمامه أنك لا تقبل قول قائل إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة ، فلا يدخل قلبك إلا دين صحيح ، وهكذا تبدأ الإبحار بقلب جديد لحياة إيمانية جديدة .

البطين الأيمن (الجمال):

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[1].

اعلم -أخي الحبيب- أن الله لا يكره منك أن تبحث عن ثوب جميل يُفصَّل على مقاسك، من خامة نسيج جيد ولون طيب في حدود الشرع بعيدًا عن الحرام، حتى الحذاء حين يريده الإنسان جميلاً، لا مشكلة في ذلك إن لم يكن فيه تشبه بالكفار أو إسراف.

ولو أن شخصًا ما يحب أن يرتدي حذاءً غالي الثمن فلا مشكلة، ولو أن شخصًا يحب أن يزيّن شقته طالما في حدود الشرع وحدود الحلال والمباح؛ فلا مشكلة ولا حرج في ذلك أيضًا.

ولكننا نريد جمال الروح، جمال الأخلاق، جمال الكلام، جمال القلب، جمال الطلب، جمال ردود الأفعال، جمال تلقي القضاء والقدر، جمال تنفيذ وتأييد أوامر الشرع، نريد كل ذلك قبل جمال الصورة والمظهر.

بل جمال الترك نفسه، أي أنه حين ينهى الله عن النظر ويأمر بغض البصر، فالمفروض حينها في ترك المناهي؛ أن تتركها بسماحة، لا أن تتركها وأنت مجبر، ففي قصة أصحاب الغار عند البخاري حينما قالت له المرأة: «اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ»، قال: «فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»[2].

لاحظ معي واسمع قوله: «فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» أي تركها وهي أحب الناس، ولم يتركها كرهًا لها، وإنما اتقاء الله؛ فاتقِ الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢١٥٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣).

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتقين

إذن القضية هنا هي السماحة في ترك المناهي ، والسماحة في تنفيذ الأوامر ، فلا أقوم لصلاة الفجر وأنا حزين ، وأنا أشعر بثقلها على نفسي ، ولا أذهب للصلاة وأنا أفتح عينيّ نصف فتحة ، ولا أريد أن أفتحها جيدًا حتى لا يذهب النوم ! لماذا هذا كله ؟؟

صلاة الفجر بالذات صلاة جميلة ، المفروض فيها استشعار الجمال . . جمال نسيم الفجر العليل ، وجمال السماء وقت الشروق ، جمال الوقت والحال .

والله ، إن الشخص ليتعمد حين يخرج من صلاة الصبح أن يتلقى الهواء بصدره . . ذاك الهواء الذي لم يتلوث بمعاصي الناس بعد ، ذاك الهواء النظيف في ساعة التنزل الإلهي . . ساعة الجمال .

واسمحوا لي أن نركز على ملمح في قول سيدنا النبي ﷺ ، وأريدك ابتداءً كلما قرأت اسم النبي ﷺ أن تصلي عليه ، ولا تكتفِ بتمرير عينك على الصلاة عليه ، لابد أن تصلي على النبي ﷺ ، حرك لسانك وشفتيك بالصلاة عليه ﷺ ؛ فهذا أمر ، قال الملك ﷻ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

قال النبي ﷺ : «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِهِ»[1] .

«أَجْمِلُوا» : جمال الطلب . . أريدك أن تكون رجلاً جميلاً وأنت تعمل ، رجلاً جميلاً وأنت تقبض ، رجلاً جميلاً وأنت تدفع ، جمال الطلب . .

وقلت دائمًا : اعتقادي أن الرزق ليس النقود فقط ، وإنما الزوجة رزق ، والشقة

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٩٤) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٨٥) .

رزق ، والبيت رزق ، والأولاد رزق ، والأب والأم رزق ، وأنفك ، وفمك . . رزق ، ثم هدايتك وصلاح قلبك . . رزق ، وكل أنواع الطاعات أرزاق .

إذن كن جميلاً في قبول هذه الأرزاق : **«فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»** .

والحديث يخبرك بحقيقة يقينية : **«نَفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا»** ، فعمرك لن يقصر ولو ثانية ، والذي كُتب لك ستراه .

إذن كن رجلاً جميلاً ، ولا داعي للقلق الذي يكدّر الحياة ، ولا داعي للهَمّ الذي ينغّص العيش ، وعندما يكون الإنسان جميل الخلق في جمال الطلب ؛ حينها يعيش الحياة الجميلة .

اللَّهُمَّ أحينا حياة طيبة..

ومن الجمال : العفو والصفح ومسامحة الخَلْق : ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر : ٨٥] .

وهكذا البطين الأيمن إلى جوار الأذين الأيمن ، فصار الجمال إلى جوار الثقة .

ثقة جميلة .. ثقة بجمال ..

وصمام هذا البطين حديث النبي ﷺ : **«كُلُوا ، وَاشْرَبُوا ، وَالْبَسُوا ، وَتَصَدَّقُوا ، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ»**[1] .

فلا إسراف ، ولا عُجب ، ولا اختيال ..

اللَّهُمَّ ارزقنا الجمال ورؤية الجمال .

الأذين الأيسر (التبتل) :

استقبل الدم الجديد بعد تطهيره مباشرة بالخلوة والتبتل .

يقول الله تعالى : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل : ٨] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٦) .

وكم أتمنىٰ أن تبيت ليلة بهذه الآية ترددها وتكررها!

التبتل .. هو الانقطاع إلىٰ الله.

ومن التبتل أن تمد الصيام للسحر، فقد صح أن رسول الله ﷺ لما نهىٰ عن الوصال مثلما يواصل هو ﷺ قال: «لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّىٰ السَّحَرِ»[1].

ولكن هذا لأصحاب المقامات العالية.. الذي سيواصل إلىٰ السحر، سيأتي عند المغرب ولا يفطر، ولا يفطر عند العشاء، فإذا جاء السحر أفطر..

إذا كنت لا تريد أن تفعل هذا فأنت حر؛ لكن لا تقل إن هذا الكلام لا يصح؛ فقد جاءك الحديث الصحيح.. فافعل أو اسكت..

التبتل أن ينقطع الشخص لله، فلا يكون وراءه شيء غير الله.

قيل لأبي سليمان الداراني رحمه الله: «ما أقرب ما يتقرب به العبد إلىٰ الله؟! فبكىٰ وقال: أومثلي يُسأل عن هذا؟ ثم رفع رأسه وقال: أقرب ما يتقرب به إليه أن يطلع علىٰ قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو».

يالها من كلمة: وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو!
يراها من قلبك، فرغ قلبك من غيرها..

ولقد قلت كثيرًا: إن هذه الطريق تشق علىٰ أناس غير متفرغين لله، ولا يصلح لها أناس مشغولون بالدنيا، قال ابن الجوزي رحمه الله: «إذا رأيت نفسك تأنس بالخلق وتستوحش من الخلوة؛ فاعلم أنك لا تصلح له».

ولست بهذا أدعو لترك العمل والأشغال، والضرب في الأرض لكسب الحلال وكفاية العيال، أو أدعو الذي لديه وظيفة أن يتركها، أو أن أدعو الطالب أن يترك دراسته.. بالطبع لا، ولكن أقول: فرّغ وقتًا لله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢).

يا بني..

اليوم أربعة وعشرون ساعة ، إن أكثر شخص يعمل في اليوم ، يعمل ثماني ساعات أو عشر ساعات ، أو حتى اثنتي عشرة ساعة .

أريد من الاثنتي عشرة ساعة المتبقية ست ساعات فقط ، لا أريد غير ست ساعات في اليوم وتصير متبتلاً ، فما رأيك؟

هل تستطيع التفرغ لله ست ساعات؟ نريد ست ساعات في اليوم لله .

قد تقول : وماذا عن النوم والمواصلات والحمام والأكل وغير ذلك؟

فأقول : لماذا تقطع من حق الله كل هذا؟! اقطعها من حق الراحة . . اقطعها من حق النوم . . اقطعها من حق أي شيء آخر . .

ومن التبتل إحساس الإنسان بأنه منعزل عن المشاغل والهموم الدنيوية التافهة ، متعلق بالله وحده ، ليس له علاقة بهموم الناس وإن كان وسطهم ، فهو مع الله دائمًا . . يجلس مع الناس بجسده ، أما عقله وروحه وقلبه فمع الله .

لا يريد من الدنيا والآخرة إلا الله..

ومن كان هذا حاله ؛ تجده دائمًا يستأذن الناس لبعض الوقت ، فيصعد إلى السطح كي يناجي ربه ، ثم يعود إليهم .

وَإِنّي لَأَستَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ ... لَعَلَّ خَيالاً مِنكَ يَلْقَى خَيالِيَا

وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ البُيُوتِ لَعَلَّنِي ... أُحَدِّثُ عَنكَ النَّفْسَ يَا لَيْلُ خَالِيَا

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا ... يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَلَّا تَلَاقِيَا

أن تشعر بإحساس أنك مع الله بمفردك ، هذا نوع من أنواع التبتل .

اجتهد وجاهد أن تتفرغ لله ، وتفرغ وقتًا :

لتناجي الله ، لتحب الله .

لتتوسل إلىٰ الله . . لتدعو الله . . لتتباكىٰ بين يدي الله .

لتطيل السجود حتىٰ تستشعر القرب من الله . .

لتكثر من قراءة القرآن كلام الله . .

لتبتعد عن ضجيج الدنيا ومشاغلها وهمومها ؛ فتستشعر الأنس بالله . .

التبتل . . الأذين الأيسر ، وهو الانقطاع إلىٰ الله ، وصمامه : تفريغ الوقت بعيدًا عن كل المشاغل والهموم .

البطين الأيسر (الذل) :

لابد قبل أن يعود الدم لينتشر في الجسم أن يمر علىٰ هذه الغرفة الخطيرة في القلب . . غرفة الذُّل لله . . والذِّلة علىٰ المؤمنين .

اللَّهُمَّ اجعلنا أذل خلقك لك ، اللَّهُمَّ اجعلنا أفقر خلقك إليك ، اللَّهُمَّ اجعلنا أحوج خلقك إليك ، اللَّهُمَّ اجعلنا أنعم خلقك بفضلك يا رب .

دائمًا يحضرني قول بعض السلف : «أتيت الله من كل الأبواب ، فوجدت عليها الزحام ، ثم أتيته من باب الذل فلم أجد عليه أحدًا» .

ويُحكىٰ في الأثر الإلهي أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «يا رب ، أين أجدك ؟» فقال الله عَزَّ وَجَلَّ له : «أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي» .

هل دخلت علىٰ الله من باب الذل قبل الآن؟

سبحان الله العظيم! كان مع شيخي شيخ له ، وكان شيخي يدخل علىٰ شيخه ، فكان شيخ شيخي يحاول أن يقبل يد شيخي ، فكان يجيبه : «إذا كنت تريد أن تذل لربنا أو تنكسر -يعني لتعالج شيئًا في نفسك- فلا تفعلها معي أنا» فكأن الشيخ فهمها .

هل تعرف أنك تحتاج أن تقبّل يد رجل فقير؟ تقعد قرب رجليه وهو جالس على الكرسي، تشعر أن هذا الرجل من الصالحين.

لا أريد أن أضرب أمثلة لأنها أحيانًا تكون مستفزة، لكن.. أريدك أن تذل لربنا.. بطريقتك، كما تحب وكما يتيسر لك، لكن أريد أن يظهر عليك الذل لله، أن يظهر على وجهك أو في تصرفاتك أو في موقف من مواقف الحياة، أن يظهر لله أنك عبد ذليل لله..

لن أقول لك: اذهب إلى مرحاض مسجد مليء بالنجاسات واغسله ونظفه.. لن أقول لك اجلس قرب رجليْ أمك، واغسلهما، وقبّلهما، لن أرشدك كيف تذل.

أنا أقول لك ذل لربنا، واختر أنت الطريقة التي تذل بها لله، وليبحث كل واحد عن جانب يبيّن فيه الذل لربنا، ويقول له: «يا رب؛ وعزتك وجلالك لولا أنت ما فعلت هذه، لك أنت وحدك القهر والذل الذي أنا فيه، لولاك كنت انتهيت وضعت، لولاك لم أكن لأطيق العيش، لكني صابر لك وحدك ومن أجلك وحسب، سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت».

تسجد له بقلبك قبل جبهتك، وتتضرع إليه أن يقبلك، وتُرَدِّد في ذل وانكسار:

عُبَيْدُك ببابك.. مُسَيكينُكَ ببابك.. فقيرك ببابك.. لا تطردني عن جنابك..

ومن علامات نجاحك في تحقيق الذل:

طول السكوت: فالذليل لا يجد كلامًا يتشدق به أو يفتخر به على الناس، وإنما يستفتح بالسكوت ما أغلق بينه وبين ربه؛ قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «طول السكوت مفتاح العبادة».

التواضع والتوكل: صحّ موقوفًا على ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه وضع يده مع مجذوم، وقال لنفسه: «كلْ ثقة بالله وتوكلًا عليه»، وقد روي ذلك أيضًا

مرفوعًا، لكن الترمذي مال لوقفه على ابن عمر رضي الله عنهما..

أنعِم به من خُلق! وأنعم بابن عمر من متبوع رشيد!

الرضا بالله: الرضا به ربًا مدبرًا، والرضا به إلهًا مشرّعًا.

الإخبات وسوء الظن بالنفس: الذليل لا يزال يعيب على نفسه، ويراها أهل كل سوء، ومأوى كل شر.

المراقبة: الذليل كسر ذنبُه خاطرَه، فتراه مراقبًا نفسه على الصغيرة والكبيرة.

كان الربيع بن خُثَيم رحمه الله إذا أصبح أمسك إداوة وقلمًا وقرطاسًا، وكتب كل كلمة يقولها، فإذا أمسى حاسب نفسه على القرطاس!

ها هو قلبك الجديد الذي ينبغي أن تحيا به الحياة الإيمانية الجديدة؛ لتدرك فيه الفردوس الأعلى إن شاء الله: أن نطهر ونجدد ونغير ونلوّن دورتك الدموية -أقصد الدورة الإيمانية- بالتوبة والاستغفار.

ثم الثقة.. لو كفر كل أهل الدنيا، فكن أنت الموحد الوحيد في الأرض، ولا يهز ذلك أصغر شعرة في أصبع رجلك الصغير.

ثم الجمال.. كن جميلاً في الطلب والرضا والصبر والعمل والتعامل.

ثم التبتل.. تفرغ لله وانقطع لله.

ثم ذل لله.. هذا جمالك الحقيقي. هل رأيت رؤوسًا أجمل من كشف رؤوس المحرمين أو شعث وغبار المُلَبِّين، هذا هو الذل الحقيقي.

رزقني الله وإياكم الإخلاص في القول والعمل.

أحبكم في الله..

هيا هيا ياذا القلب الجديد.. إلى:

الفصل الرابع

قواعد الإبحار

﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

ضحك البحر اليوم لطفل : : أتى يتعلم فن العوم
قال البحر: اسبح وتعلَّم : : واحذر أن يغرقك النوم
قال الطفل: أبي أخبرني : : أن النوم أذل القوم
قال البحر: لقد أفتاك : : بما يجعلك عظيم القوم
قال الطفل: يمين الله : : سآخذ دوري منذ اليوم

هيا هيا..


الربانية
yaqob.com

قواعد الإبحار

أخي في الله ...

كم رمضان مرَّ عليك وأنت ملتزم؟ وأنت متدين؟ وأنت ملتحٍ؟ وأنتِ منتقبة؟ وأنتَ تائب؟ وأنتِ تائبة؟

ودائمًا أقول: إن رمضان هو «ترمومتر العام».. هو مقياس الدرجة الإيمانية، فكيف كان ذلك الشهر في كل تلك الأعوام؟

وماذا عن فرص الفوز بالعتق؟ في أي رمضانٍ منهم كانت أكثر؟

بل.. كيف كان أثر هذا الشهر بعد انقضائه كل عام؟؟

قارن بين رمضان في أول التزامك، وبين آخر رمضان مر عليك..

لا شك أن أوقات البدايات لها بركات، وإن كان الكلام لا يَعُمّ، لكن؛ من خبرة الواقع أقول إن الأعم والأغلب في بداية التزامه، وحماسه، وحبه للدين، وتطلعه وتشوّفه لمراتب الصديقين.. كان أحسن، وبعد ذلك بدأ يفتر ويُفْتَن، وينزل حتى أصبح الحال لا يَسُرُّ حبيبًا، وإنما يسر العدو.

أمّا هذا العام يا بطل؛ فهذا رمضان الفردوس إن شاء الله.

أنت الآن أمام الشاطئ.. توشك أن تكون في عرض البحر، وقد سَطَّرتُ لك هنا قواعد الإبحار.. ليكون رمضان هذا العام غير أي رمضان مَرَّ عليك.. أقوى رمضان في حياتك..

فَشَمِّر ساعدك.. واشحذ همتك.. وارجُ فضلَ الله الكريم لتنال الفردوس من أول ليلة إن شاء الله.

اركب معنا..

ولكن قبل أن تركب معنا، لابد من هذه الوقفة، تخلص من نفسك، فلا تأخذها معك في هذه الرحلة..

وقفة العمر

أحبتي في الله ، مركبنا هذه مركب مصيرية ، إنه رمضان شهر الشهور ، وموسم تغيير المستقبل كله .

لذا ، فإننا نحتاج لوقفة حقيقية أستطيع أن أسميها : (وقفة العمر) . .

وقفة! أن تتوقف الدنيا للحظات ، لتتخذ قرارتك المصيرية . .

ولكي تنجح هذه الوقفة ، (وقفة العمر مع النفس) فلابد من فهم النفس ، فهم أغوارها ، فهم أسرارها ، فهمها حقيقة ، فهمها بصدق ، فهم صفاتها :

يقول ابن القيم رحمه الله : «في النفس كِبر إبليس ، وحسد قابيل ، وعتو عاد ، وطغيان ثمود ، وجرأة نمرود ، واستطالة فرعون ، وبغي قارون ، وحيل أصحاب السبت ، وتمرد الوليد ، وجهل أبي جهل ، وحرص الغراب ، وشَره الكلب ، ورعونة الطاووس ، ودناءة الجُعل ، وعقوق الضب ، وحقد الجمل ، ووثوب الفهد ، وصولة الأسد ، وفسق الفأرة ، وخبث الحية ، وعبث القرد ، وجمع النملة ، ومكر الثعلب ، ونوم الضبع ، غير أن الرياضة والمجاهدة تُذهب ذلك ، فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند ، لا تصلح سلعته لعقد : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [التوبة: ١١١]» .

بالله عليك هل تأمن أن تركب سفينة النجاة ومعك كل هذه المخلوقات المفترسة : أسد ، وفهد ، وضبع ، وذئب و . . . .

أترضى أن تجمعك مائدة واحدة بهؤلاء : أبي جهل ، وقرد ، وكلب ، و . . .

أيها المبحر نحو الفردوس! ليس في الفردوس مكان لرفقائك الأشرار ، الذين سكنوا من نفسك الأغوار : فرعون ، وهامان ، وقارون ، والنمرو و . .

فتعال أخي نتوقف وقفة العمر مع النفس ، لنواجه أهم صفاتها ونطهرها منها :

١) الخداع :

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

هذه هي النفس ، خدَّاعة ، مخادعة . .

تقول : أحب الله ، أحب الجنة ، ثم تنام عن صلاة الفجر . . خداع!

تقول : أخاف الله ، وأخاف النار ، ثم تطلق البصر على المتبرجات ، خداع!

تقول : أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة ، ثم تأكل الربا ولا تتحرى الحلال ، خداع!

تقول : أرجو من الله أن يتوب عليّ ، وتصر على الصغائر والكبائر ، خداع!

هذا هو الخداع بعينه ، أما لو كانت النفس صادقة لكان حالها : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

إخوتي . .

إنك تستطيع أن تخدع والديك ، تخدع صاحب العمل ، تخدع امرأتك ، تخدع زملاءك ، تخدع الدنيا كلها ، إلا الله !

إن الذي يظن أنه يخدع الله ، فإنه مسكين ، لا يدري أنه هو المخدوع!

وهذه هي الحقيقة المُرّة ، أن مِن الناس مَن يعلم أنه هو المخدوع ، ثم يرضى بالخداع ، ويعيش الحياة على ذلك!

وعلاج النفس المخادعة ، هو المواجهة بالحقيقة . .

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

لقد قلت ليلةً في درس: ليفتح كل منكم الهاتف الخاص بزوجته، انظر في المكالمات الصادرة؛ لتعرف من الذي تكلمه؟ انظر في المكالمات الواردة؛ لتعرف من الذي يكلمها؟ انظر في المكالمات التي لم يرد عليها؛ لتعلم من الذي يتصل بها؟ انظر في الاستوديو..

لا تقل: أنا أثق في زوجتي! انظر بنفسك، كن في الصورة.

فكانت النتيجة: في اليوم التالي جاءتني كثير من الرسائل تقول: «خربت البيت يا شيخ!»، أنا لم أخرب البيت، أنا أطلعتك على الحقيقة!

وهكذا، كثير من الناس يرضىٰ أن يعيش مخدوعًا، يحب أن يُخدع، يخشىٰ الحقيقة المُرّة، يكره المواجهة ولا يرضىٰ الحقيقة، يعلم أن زوجه وولده قد يخدعونه، ثم يُؤثر الخداعَ علىٰ الحقيقة، يظن فيها راحة البال، وتلك هي نظرية السوس، أنك إن رضيت بالخداع فأنت بهذا تترك هذه المآسي تنخر في أساساتك حتىٰ تفاجأ ببنائك يَنْهَدُّ هَدًّا.

فتخلص من الخداع، بالمواجهة، والمواجهة بالحقيقة شاقة، لكنها هي العلاج الذي لابد منه.

واجه نفسك بآفاتها ومعاصيها، واعترف بحقيقتك المُرّة، لا ما تخدع به الناس وما يخدعونك به، ثم عالج الحقيقة وأصلح النفس المخادعة، أن تعيش الحقيقة لا الوهم، والصدق مع النفس لا الخداع.

٢) الجبروت:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن

شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

تأمل هذا الجبروت، وهذا الطمع: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾؟!

﴿لَّنَا﴾ هذه هي الجبروت، إنها تُشبه كلمة فرعون لمَّا قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].

والسبب في هذا الجبروت، الاهتمام بالنفس، والحرص عليها، فلم يَكُنِ الهَمُّ: الإخلاص، ولا الصدق، ولا القبول، ولا الجنة، ولا الرضا، وإنما ﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ﴿هَل لَّنَا﴾، ماذا لنا؟!

هذا هو السبب: استيلاء النفس على الهَمّ.

والتخلص من هذا الهَمّ بمنتهى السهولة، أن تعلم أنك ستموت!

قال الله عَزَّ وَجَلَّ مُزكيًا رسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

إنك إذا علمت أنك ستموت، فكم ستحتاج من المال بعد الموت؟

إن كنت ستموت، فما المنصب الذي سينفعك بعد الموت؟

إن كنت ستموت، فما الشهوات التي ستبقى لَذَّتها بعد الموت؟

هذه هي الحقيقة...

أن كل ما تهتم بنفسك فيه، لن ينفعك إذا نزلت القبر، وقد جردناك من ملابسك، وفرغنا جيوبك، وأغلقنا عليك قبرك وحدك، معك فقط جليسك الذي هو عملك، فإن كان خيرًا فصالح، وإن كانت الأخرى، فيا خسارة نفسك في الدنيا والآخرة، ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٥-١٨].

٣) الغرور:

﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

النفوس مغرورة، تجد أحدهم يقول: أنا لا أعصي الله! لا أشرب ولا أزني ولا أسرق ولا أوذي أحدًا، وهذا لعمر الله هو عين الغرور؛ وهو أخطر من الزنا والسرقة -نعوذ بالله تعالىٰ من كل ذلك-؛ تأمل خطورة معاصي القلوب مقارنة بمعاصي الجوارح:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّةَ وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ»[1]، وقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[2].

وهكذا إخوتي - وكما قلت قديمًا -: كل داء يصيب الإنسان من ظاهره، فسهل شفاؤه، يسير إزالته، أما إذا نبع الذل من داخل القلب، وانبثق الخطر من حشاشات النفس.. فهذا هو الداء الدوي والموت الخفي!

فلا تغتر، ولا تبرئ نفسك، بل تواضع واعترف واتهم نفسك..

٤) الشح:

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨].

تأمل تأمل، سبحان الله العظيم! كأن الأنفس أُسْقِيَت شُحًا، صُبِغت شحًا، شَرِبت شحًا، والشُّحُّ هو: شدة البخل.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٤٨٩)، ومسلم (٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٩١).

نفسك شحيحة ، لابد أن تعلم هذه الصفة ، إنك تستخلص منها العمل الصالح بإخلاص ومتابعة بعد مفاصلة ومجادلة ولوم! بعد عناء وتعب!

تجدك تشح بساعة تجلسها في المسجد بين الفجر وطلوع الشمس ، رغم إعطاء العمل ثماني ساعات كاملة بخلاف المواصلات!

تجدك تشح بجنيهات قليلة تملأ بها يد الفقير ، في حين بعثرتك المال على نفسك وشهواتك!

وتزكية النفس من هذا الشح تكون بإيثار الله ، وإدمان البذل له سبحانه .

قال ربنا عز وجل : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ولذلك قال كعب بن مالك رضي الله عنه: «إن من توبتي أن أخرج من مالي» ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ»[1].

ابذل من مالك ووقتك ، لتؤثر الله على نفسك ، فتتزكى من شحها ..

٥) التحسر على الدنيا:

قال الله جل جلاله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

تجد الذي ينوي على العمرة فينفق لأجلها سبعة آلاف جنيه مثلاً ، تجد نفسه أو زوجه تُحَسِّره على هذا المال ؛ تقول له : أليس كان عيالك أولى ؟! أليس كان بيتك أولى ؟! أليس هذا التعب والشقاء شاركتك فيه زوجتك بصبرها على ساعات غيابك عنها في العمل ؟؟

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩) .

سبحان الله! عيالي أولى!
أولى ممن؟ من الله!

مصلحتهم أولى من دخولي الجنة!!

هل تذكرون الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم؟

تأملوا قول أولهم، الذي افتتح لهم الفَرَج:

قَالَ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً (لا أقدم في الشرب قبلهما أحدًا)، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ (يصيحون من الجوع)، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ؛ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ؛ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ[(١)].

هذا هو عدم التحسر على الدنيا، إنه سمع صراخهم بأذن رأسه، بينما صمّت أذن قلبه أن تسمع إلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

لم تتزحزح قدماه رغم تخبط العيال وهزهم لساقيه لأنه أصابه مخدر: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

إننا لا نريد منك أن تضيع عيالك، إن لهم عليك حقًا، لكن إذا تعارضت رغباتهم مع حق الله، فلا تقدم على الله زوجًا ولا ولدًا ولا نفسًا.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢١٠٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

ودواء هذه الصفة الخبيثة، ألا تسمع لنفسك، ولا تسمع للناس؛ يقول الله عز وجل: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

لا تسمع لنفسك؛ لا تفتنك، لا تسمع للناس؛ لا يفتنوك..

وما أكثر ما نهاك الله عن طاعة غيره في معصيته:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ١-٢].

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٠-١٥].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٤-٢٥].

مشكلات النفس!

١) النسيان:

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

ألسنا نقولها كثيرًا: لا تنس نفسك! نعم إن كثيرين من الناس ينسون أنفسهم!

إن رأيت العصاة، فلا تنس نفسك: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤].

إنك إن نسيت، فإن لك ربًا لا ينسى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

وإن نسيت، فستتذكر يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

تب إلى الله من نسيان ذنوبك؛ فإنه في حد ذاته من أكبر ذنوبك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

٢) التنصل:

إن النفس هي السبب فيما أنت فيه، ثم هي تتخلى عنك وتتبرأ منك!

انظر كيف هي السبب:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فإن علمت ذلك فلا تلهى بالمنطق التبريري، أن تجد لكل تهمة مبررًا، عذرًا، رخصة!

افطن لهذه الخصلة في نفسك جيدًا، لتتخطى هذه المشكلة: بالصدق والاعتراف وعدم اللف والدوران والتبرير.

٣) السفه:

النفس سفيهة؛ ترغب في الصغائر والتوافه والسفاسف، وترغب عن المعالي والعظائم والعزائم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

من أسْفَهُ ممن يترك النبي ﷺ وأصحابه الكرام، ثم يتشبه بالكفار!

رأيت شابًا في قرية في عمق الريف، لحيته طويلة، وعلىٰ وجهه سمت السنة، وفوجئت بملبسه، يلبس (تيشيرت) أبيض وعليه دوائر حمراء! وبنطالاً ضيقًا «جينز»، وحذاءً مدببًا طويلاً!

أحبتي، هذا هو السفه، أن ترىٰ السنة تنور وجهه، ثم لا يتنزه أن يلبس ملابس الساقطين!

ودواء هذه المشكلة (سفه النفس) أن تفطن لنهاية نفسك، أنها ستسكن التراب، فلا تتركها لسفهها، ولكن تأخذ علىٰ يدها وتقومها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

٤) الخيانة:

قال الله ﷻ: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فالنفس تُحرِّض علىٰ الخيانة؛ تجد نفسه تقولُ له: اطلب العلم، فيسارع في ذلك؛ لا لوجه الله ﷻ؛ وإنما: ليماري به ويجادل به ويرائي به ويتأكل به.

وأقوىٰ ما تداوي به هذه الخصلة الخطيرة في النفس (الخيانة):

أن تواجهها بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ياله من نداء تقشعر له الأبدان، ياله من نهي مهيب، ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ﴾، إنه دواء قوي وفعال، لمن كان له قلب.

العلاج...

تعالوا إلىٰ العلاج؛ لتحصل علىٰ شهادة التأمين الصحي قبل الإبحار..

١) الإصرار على التغيير:

لكي تتغير لابد أن تصر على التغيير ، لابد أن تصدق في التغيير ، لابد أن تتحرك للتغيير : يقول الله تعالى : «ابْنَ آدَمَ ! قُمْ إِلَيَّ أَمْشِي إِلَيْكَ ، امْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إِلَيْكَ»[1] ، عليك البداية ، عليك الإصرار ، عليك الصدق ، وعلى الله التمام . .

٢) أن تضيق عليك نفسك وتتلهف على سعة التوبة:

لابد أن تكره نفسك ، لابد أن تضيق عليك الأرض ، لابد أن يفيض بك الكيل من المعصية : ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩] .

قال كعب رضي الله عنه : «حتى تنكرت لي الأرض فليست بالأرض التي أعرف» .

نعم أحبتي ، فأحيانًا يأنس الإنسان ببيته ، بسيارته ، بمكان ما ، فإذا تشددت رغبته في التغيير وأصر على الإصلاح ، يضيق القلب بكل شيء إلا الله .

لابد أن يرى الله منك هذا ، أنك ضاقت عليك نفسك . .

كرهتها ، كرهت معاصيها ، كرهت ذنوبها ، كرهت طباعها ، كرهت إصرارها ، كرهت كسلها ، كرهت سفولها . .

أن تضيق عليك نفسك ، فتتضايق منها ، فتطلب الخروج منها ، هذا الإحساس : ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ، هو الذي سيكتب الله لك به المخرج : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٧٨) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٨٧) .

٣) أن تبيع نفسك ليشتريها الله:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

يشري نفسه: يعني يبيعها، ضح بها، بعها، ليشتريها الله منك.

عن أبي عثمان النهدي رضي الله عنه قال: «لما أراد صهيب الهجرة إلى المدينة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا، فكثر مالك عندنا، وبلغت ما بلغت، ثم تريد أن تخرج بنفسك ومالك! والله لا يكون ذلك، فقال لهم: أرأيتم إن أعطيتكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، فقال: أشهدكم أني قد جعلت لهم مالي، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ»[1].

هيا اعقد هذه الصفقة، بع نفسك، والله اشترى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

٤) الثبات على هذا القرار:

قال الله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

هل رأيت هذا من قبل؟ النفس تثبت على التضحية وبيع النفس والمال لله؟!

نعم، ألم يأتك نبأ أبي الدحداح؟!

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح الأنصاري:

(١) أخرجه ابن حبان (٧٠٨٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح فقه السيرة» (١/١٥٧).

وإن الله ليريد منا القرض؟! قال: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط؛ فقد أقرضته ربي عز وجل [١]، فلما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم، وتقول: كخ كخ، إن أباكم قد أقرض ربه حائطه، فقال النبي ﷺ: «**كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ فِي الجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ**»[٢].

هذه ليست بطولة أبي الدحداح وحده، وإنما أم الدحداح هي أيضًا بطلة، أصيلة، ثابتة، ثبتت نفسها وزوجها وولدها، لم تقل: ضيعت العيال، ضيعت مستقبل العائلة، وإنما قالت: «ربح البيع».

لا تتردد، لا تتذبذب، لا تتأخر، لا تتلون..

بل أقول: لا تفكر، لا تحسبها، لا تتريث في عمل الخير!

قال رسول الله ﷺ: «**التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ**»[٣].

وكان جعفر الصادق يقول: «لا يتم معروف إلا بتعجيله وتصغيره وستره».

٥) أن تؤثر الله على نفسك، والآخرة على الدنيا، واتباع النبي ﷺ على هواك:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٩٨٦)، وصححه الشيخ الألباني في «تخريج مشكلة الفقر» (١٢٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢١٩٤)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨١٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٧٩٤).

كيف يقوم النبي ﷺ حتىٰ تتورم قدماه ، ثم ترغب بنفسك أن يصيبك ما أصابه ؟!

كيف يسجد النبي ﷺ حتىٰ يُظَنّ أنه قبض ، ثم ترغب بنفسك أن تقضي الليل كما قضاه ؟!

ما أخسر الذي يؤثر نفسه ! إذا كانت خسارته أنه تخلف عن رسول الله ﷺ .

٦) التسليم والاستلام :

يقول الله ﷻ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥] .

لابد أن تتحرىٰ سلامة الصدر والقلب وأنت تتغير ، وأنت تضحي ، وأنت تتوب ، إياك أن تقول بعد أن تطول بك تضحية : أنا لو كنت أريد الدنيا كنت فعلت وفعلت ، احذر هذا الحرج الذي في صدرك .

من وجد الله فماذا فقد؟

أريدك أن تشعر بحلاوة الاستسلام .. أن تشعر بسلامة الصدر من الغل والآفات .. أن تشعر بنشوة الانتصار علىٰ نفسك .. والاطمئنان إلىٰ مستقبلك في رضا ربك ..

٧) الصبر :

يقول الملك ﷻ : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف : ٢٨] .

إذا هُديت لهذه الأدوية ، فاصطبر عليها ، لا تتعجل ثمرتها ، تيقن من النتيجة إن شاء الله فعاقبة الصبر مضمونة ؛ قال ﷺ : «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[١] .

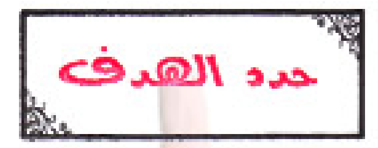
وبعد أن عالجنا النفس -أخي الحبيب- وعرفناها وتخلصنا منها ، فبعناها لله ﷻ ، تعالَ إذن نركب السفينة ، (اركب معنا) لنبحر نحو الفردوس .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) .

ولكن للركوب قواعد وأصول أسردها لك سريعًا:

القاعدة الأولى:



لو أن رجلاً يمشي في مدينة لا يريد شيئًا، فأين يذهب؟! وكيف يتجه؟! إنه ضال تائه.. هائم على وجهه.. لا يدرك وجهته، أبدًا لن يصل إلى شيء.

أما إن كان له هدف؛ فإن كان صادقًا في طلب الوصول إلى هدفه، سلك أسرع الطرق وأسلمها، ولذلك؛ دائمًا أوصي إخواني بتهديف الحياة؛ أن يكون هناك هدف أعلى، هدف أسمى، هدف أكبر، هدف العمر:

«رضا الله»

وهذا هدف ثابت لا يتغير؛ لأنه الغاية الكبرى؛ أن يرضى عنك.

وهناك أهداف مرحلية في الطريق قد ترتبط بفترة معينة من الحياة؛ أن أتعلم شيئًا معينًا، أن أبني مسجدًا، أن أصل إلى كفالة أكثر من يتيم، أن أحفظ جزءًا من القرآن.

لكن هذه الأهداف كلها تندرج تحت الهدف الأصلي، وهو: طلب رضا الله ﷻ، أو نستطيع أن نقول: إنها طرق وسبل للوصول إلى الهدف الأكبر، فليست هدفًا في حد ذاتها؛ وإنما هي وسائل للوصول.

حبيبي...

يلزمك هدف تعيش من أجله، وهذا الكلام قلته سابقًا في خطبة قديمة اسمها: (ما الهدف؟)، قلت حينها إنه يجب أن يكون لك هدف في حياتك، وقلت إن الشيخ الألباني نجح في أن يكون أفضل محدّث في عصره وأكثر الناس عطاءً؛ لأنه من صغره حدد هدفه؛ لقد أراد أن يكون محدّثا، فلم يلتفت يمينًا أو شمالاً، واجتهد وبذل وقته وماله؛ فوصل إلى هدفه.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إني لأرىٰ الرجل ليس في شيء من أمور الدنيا ولا في شيء من أمور الدين؛ فيسقط من عيني».

وأعيد ثانية ما قلته في تلك المحاضرة، وإن كنت قد أحلتك إلىٰ الشريط (ما الهدف؟).. قلت: إنه يجب أولاً تحديد الهدف، وثانيًا التركيز في الهدف، وضحكت أنت عندما قلت في ذلك الشريط إن ماسحي الأحذية الذين يجلسون في «الميادين العامة» علىٰ الكراسي الصغيرة وأمامهم صندوق مسح الأحذية.. ستجد الواحد منهم عينه علىٰ الحذاء، فهو عنده الهدف.

صارت الدنيا كلها في عينه.. حذاء، يقول: «آه هذا اللون لدي»، «آه؛ هذا الحذاء يحتاج إلىٰ تلميع»، «وهذا يحتاج إلىٰ..»، و«هذا بحاجة إلىٰ..» إلخ، فكل تفكيره في الحذاء، وانصرف اتجاه ذهنه كله إلىٰ هدفه.

وتجد الحلاق يمشي في الشارع.. عيناه علىٰ قفا كل رجل، وقد أصبحت الدنيا كلها في عقله (قفا)، يقول في خاطره: «هذا الشعر يلزمه كذا..»، «هذا رأسه عريض»، و«هذا رأسه كذا..» إلخ.

إذن... حدد هدفك.

إذا تركنا الحلاق وماسح الأحذية، وأتينا إليك أنت أيها الموحد: فما هدفك بعدما ركبت معنا، ونحن سنبحر إلىٰ الفردوس؟ وكيف تركيزك في الهدف وانشغالك به، وعمق توغله في اهتمامك النفسي.

إذا حددت هدفك نحو الفردوس الأعلىٰ برمضان ستعرف إجابة السؤال:

لماذا تريد أن تدرك رمضان؟

ألأن عدد ساعات العمل أقل؟ أم لأنه موسم المباهاة بموائد الرحمن؟ أم لأنه موسم قبولك الهدايا والعطايا؟ أم لأنه موسم التلفاز والخيام والسهرات والدورات الرمضانية؟

لماذا لا تجعل لك هدفًا واحدًا في هذا الشهر الكريم . . هدف العتق من النار ، واتجه لتحقيق هذا الهدف من أول ليلة . . فاستبقوا الخيرات .

اقرأ هذا الحديث ، وتأمل هذه الرواية جيدًا ، فإن فيها زيادة مهمة ؛ قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**»[١] .

نحن دائمًا نسمع أنه في كل ليلة عتقاء من النار ، أما كل يوم وليلة فهذا جديد؛ لذلك كان الناس يضيعون الأيام ، وكان اهتمامهم بالليالي .

ثم الزيادة الجديدة أيضًا أن لكل منهم دعوة مستجابة ، فيالها من فرص عظيمة متعددة ، إن فاتتك الفرص في النهار فاجتهد في إدراكها في الليل ، أو النهار الذي يليه ، ثم إن فزت فلك هدية مع العتق : دعوة مستجابة .

فاختر إذن هدفك من اثنين : إما أن تعتق رقبتك من النار ، أو تعتق رقبتك من النار ، لا يوجد حل ثالث .

ونحن نقول دائمًا للذي يقول : «أنا أتمنى وكل بغيتي أن يرضى الله عني» ، - نقول له - : «ماذا تفعل لكي يرضى الله عنك؟» فإن قال : لا أفعل شيئًا نقول له : «إذن كذبت» ؛ لأن من يريد أن يرضى الله عنه ، يبحث عما يرضي الملك سبحانه ويفعله ، فلابد لمن يريد أن يغفر له ما تقدم من ذنبه أن يحقق شروط ذلك في الأحاديث ، ويستجمع كل الشروط ، ويجتهد في إحراز كل الفرص :

١) الصيام إيمانًا واحتسابًا .

٢) القيام إيمانًا واحتسابًا

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٤) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢١٦٩) .

٣) قيام ليلة القدر -تحريها، والتماسها، والبحث عنها، والحرص عليها- إيمانًا واحتسابًا.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١)

«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢)

إذن لابد من العمل، وليس فقط التمني وحسب!

حبيبي في الله...

هل تعرف معنى العتق من النار؟

سوف تفهمها إذا فهمت معنى قول الله عز وجل: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥]، وقوله جل جلاله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

تخيل إنسانًا مولاه النار؛ هي مأواه، هي حسبه، هي وكيله، وهي كفيله، فأن تُعتَق منها كأن يكون لرجل عبد اشتراه بنقوده ثم أعتقه، فأصبح حرًا.

فيا أيها الرُّبان اللبيب.. حدد هدفك.. واضبط بوصلتك، ثم وجه سفينتك نحو هدف واحد واضح بتركيز..

أن يعتقك الله من النار.

وهناك فرص أخرى للعتق من النار والنجاة منها على مدار السنة، بل كل يوم وكل ساعة، فالعتق ليس خاصًا برمضان فقط؛ بل الفرص كثيرة، منها:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٩١٠)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (٧٥٩).

أولاً: فرصة للعتق من النار بالصلاة:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى؛ كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»(١).

لابد لتحصيل هذا الأمر أن تعتقد أنك محبوس أربعين يومًا على ذمة القضية، قضية الإيمان، فإما أن تنال براءة، أو يحكم عليك، فواظب أربعين يومًا على تكبيرة الإحرام في جماعة، في الأوقات الخمسة.

ثانيًا: عتق من النار بذكر من الأذكار:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).

ثالثًا: عتق من النار بالنوافل:

ومن فرص عتق الرقاب من النار: قال رسول ﷺ: «**مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا وَبَعْدَهَا أَرْبَعًا؛ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»(٣)، أربع ركعات تصليها قبل الظهر، وأربع ركعات بعدها، إذا صليتها؛ حرّمك الله على النار.

رابعًا: البكاء من خشية الله:

خذ فرصة أخرى، قال رسول الله ﷺ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ**:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٩٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١١٦٠)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٩٥١).

عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[١]، عين بكت من خشية الله! لم تمسها النار، أين دموعك يا عبد الله؟! أين دموعك لله؟! أين بكاؤك لله؟! أين خضوعك وذُلُّك لله؟! إنها فرصةٌ لتعتق بها من النار.

خامسًا: الأبناء سبب للعتق من النار:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»[٢]، تربية البنات مهمة عظيمة، وذاك هو أجرها، اللَّهُمَّ أصلح بنات المسلمين، اللَّهُمَّ أصلح نساء المسلمين.

سادسًا: اعتق رقبة تُعتَق رقبتك:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ»[٣].

سابعًا: يوم عرفة يوم العتق:

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ»[٤].

ثامنًا: احتساب موت الأولاد:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ؛ كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «وَاثْنَانِ»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٤١١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٣٧)، ومسلم (١٥٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠١)، ومسلم (٢٦٣٣).

القاعدة الثانية :

أصلح السفينة

إن الطريق إلىٰ الله تقطع بالقلوب ولا تقطع بالأقدام ، وحينما أقول لك : «اركب معنا» يترتب عن هذا سؤال آخر :

هل وقع في ذهنك الوسيلة التي ستقطع بها السفر في البحر؟!

يجب أن يكون لكل امرئ زورق أو سفينة يركبها ، وسفينتك هي قلبك ؛ فأصلح السفينة :

١) لا تذَر ثُقبًا .

٢) لا تُهمِل عيبًا .

٣) لا تبْقِ خطأً .

٤) لا تنسَ مما تحتاجه شيئًا .

٥) وأخيرًا خفف الحمل ؛ فإن العقبة كؤود .

لا تذر ثقبًا و لا تهمل عيبًا :

اجعل عيوبك دائمًا أمام عينيك ، تنظر إليها دومًا ، واضعًا خطة عملية سريعة لإصلاح الأخطاء ، تنجز منها كل يوم شيئًا ، وطوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، والمؤمن قَوّام علىٰ نفسه ، يحاسب نفسه لله عَزَّوَجَلَّ

فاعرف عيوب نفسك ورعوناتها لتتجنبها .

ومن عيوبك أنك :

١) تفتر بسرعة .　　　　٢) تنشغل بالناس

٣) متردد . ٤) تتأثر بكلام الناس .

٥) لا تكمل عملاً . ٦) تعطلك الهموم الدنيوية .

٧) تنسىٰ النية . ٨) تطاردك المعاصي والسيئات .

٩) تتأثر سريعًا . ١٠) تحب الاختلاط بالناس ، وهذا يعطلك .

١١) لا تعود بسرعة . ١٢) تغلبك شهواتك .

هذه العيوب لا يكاد يخلو منها أحد ، ولكن من وصايا الإبحار أنك – قبل أن تنطلق – يجب أن تصلح قلبك ، وإصلاح القلب بمنتهىٰ اليسر : «**اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(١)] .

والحديث الآخر في النجاة : «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ**»[(٢)] .

لا تبقِ عيبًا و لا خطأ :

لا تَغفل ، ولا تُغفِل شيئًا إطلاقًا ؛ لأنه من الممكن أن يكون العيب شيئًا صغيرًا ، ولكنه يُغرِق السفينة . فأصلح السفينة تمامًا ، ولا تنسَ منها شيئًا .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُهْلِكْنَهُ**»[(٣)] .

لا تقل : هذا غير ممكن ، أو هذا مستحيل ؛ بل كل شيء ممكن فاجتهد ، إنه صعب ولكنه ممكن ، اجتز الصعوبات ، وتخط العقبات ، وتخلص من الآفات ؛ لكي تنطلق سليمًا آمنًا .

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٩٧) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٣٩٢) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٠٢) ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢٦٨٧) .

لا تنس مما ستحتاجه في عرض البحر شيئًا:

أنت الآن على البر .. هات ما لن تجده في عرض البحر، تزود وخير الزاد التقوى، خذ زادك من النيات الصالحة، والعزم على الأعمال الصالحة.

الشيوخ بين يديك الآن.. الوقت متسع لقراءة فقه الصوم الآن حتى لا تأتي في عرض البحر وتسأل: هل الحقنة الفلانية تفطر الصائم أم لا؟ هل تنصحني يا شيخ أن أقرأ مع الإمام في التراويح من المصحف أم لا؟ هل أنفق زكاة مالي الآن أم أتصدق وأجعل الزكاة فيما بعد؟

اشتر ملابس العيد من الآن؛ كيلا تنزل شر بقاع الأرض -الأسواق- في رمضان، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»[(١)].

ولما قال سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: «.. فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» قال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»[(٢)].

لذا؛ فقد كان الشافعي رحمه الله يقضي حقوق أهله وطلباتهم قبل أن يجلس لاستذكار العلم، يقول: «لو كلفت بصلة، ما حفظت من العلم شيئًا!»

صلْ كل رحمك من الآن، أدّ حقوق العباد التي عليك، تصافَ مع المسلمين أجمعين واصطلح معهم؛ قبل أن يفجعك في عرض البحر أن الشحناء تعطل القبول، وكيلا تنشغل (بزرع) المحبة في زمان (حصاد) الحسنات بالتبتل.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٩٢)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري: (٥٧٨٨).

علِّمْ أسرتك الآن خطورة رمضان، كيلا تضطر (لزرع) تعظيم الشهر في نفوس من حولك في زمان (حصاد) الحسنات في بيوت الأسر المجتمعة على الطاعة.

خفف الأحمال:

إن ركبت معنا، فالحمولة موزونة.. والوزن الزائد على حساب سلامتك! قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

تخفف بالاستغفار، تخفف بالتوبة، تخفف بالدعاء أن يرحمك الله ويخفف عنك.

اللهُمَّ لا تُحَمِّلنا ما لا طاقة لنا به يا رب..

* ومن الأهمية بمكان أن تتخلص من حقوق العباد:

المشاحنات والاختلافات تُثقِل السير، ولا شك أن زمن الاستعداد مناسب جدًّا لإنهاء هذه الأزمات؛ ألا ترى أن شعبان موسم عرض الأعمال كما قال النبي ﷺ: «هُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[١]، وقد تكرر في الشرع أن الله عز وجل لا يقبل حسنات المتشاحنين:

قال ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا»[٢].

وعن كثير بن مرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»[٣].

---

(١) أخرجه النسائي (٢٣٥٧)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١٤٠).

تخفف تخفف ، لا تعتقد أن أحدًا سيسامحك ، الكل سيطاردك ويستقصي منك حقه ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، وقال ﷻ : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

هذا هو خلق الناس اليوم في الدنيا ، لذلك سامحْ تُسامَح ، وتغافلْ يُتغافل عن سيئاتك ، وكما تدين تدان .

تخفف من الآن ، وإلا ستأتي يوم القيامة -بعد كل هذا المجهود في الطاعات- مفلسًا بلا حسنات :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ ﷺ : «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ ، وَصِيَامِهِ ، وَزَكَاتِهِ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1] .

فَإِنْ كَانَ لَكَ لِسَانٌ فَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ وَإِنْ كَانَ لَكَ عَيْنٌ فَلِلْأَنَامِ عُيُونُ

فتكون خلاصة قاعدة أصلح السفينة : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

نريد سفينة (قلبك) بأفضل المواصفات : جديدة ، خفيفة ، سريعة ، صافية ، نقية ، سليمة .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

القاعدة الثالثة :

اختر قائدًا ورفقة

لا تصحب في الرحلة مشاغبين ، أو تافهين ، أو بطالين ، لا تتخذ قائدًا غير ذكي يضيع وقتك ، ويفوّت عليك الفرص .. إنها رحلة العمر!

فإذا أردت الإبحار ، إذا أردت الانطلاق ، فاختر قائدًا ورفقة؛ فإن هذا الطريق لا يصح أن يسافر فيه الرجل وحده ، لأن : «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ**»[1] .

لا تسافر وحدك في رمضان.

تحتاج لرفقة ، وهذه الرفقة يمكن أن تكون أمك وأباك ، أو أختك وأخاك ، أو زوجتك وأولادك ، أو صاحبك .

وتلزمك هذه الرفقة للمنافسة على العبادة ، وللنشاط في العبادة ، وللحذر من التيه والغفلة والكسل والضياع .

فادرس رفقة رمضان جيدًا..

هل يمكننا تكوين مجموعة من عدة أفراد ، تلتقي يوميًا مثلاً : ساعة بعد العصر للقرآن والتدبر ، وبعد الفجر للذكر والتأثر ، وبعد منتصف الليل للتهجد والتعبد؟ ولكن بشرط أن تكون معرفتكم خالصة لله وحده ، فلا تتحدثوا في أمور الدنيا والعمل والأولاد ، هذه صحبة لله فقط .

ثم : أين ستصلي المغرب ؟ بل أين ستصلي سنة المغرب القبلية؟

أسأل الله جل جلاله ألا يحرمنا من عمرة رمضان..

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٧) ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٦٧) .

في العمرة، وبعد الأذان وانشغال الناس بالأكل و.. إلخ، قم واكسب ركعتين، وكذلك في البيت، كلْ ثلاث تمرات مع الماء، وأسرع لتصلي في المسجد ركعتين قبل إقامة الصلاة.

ثم دعني أسألك: أين ستسمع أذان المغرب؟

كما نصحتك من قبل: انطلق قبيل المغرب، ومعك تمرك في جيبك وزجاجة الماء، هذا إفطارك، وإفطار الرزق الذي ستجده في الطريق، يفطر، ويشرب، وتكسب أنت أجر إفطار صائم، وإن كنت تريد أن تفطر في بيتك مع أولادك وزوجتك فلك ذلك، افطر بالمنزل بالتمر والماء، ثم أسرع لتدرك الإقامة في المسجد.

وإن كنت ستقول لي: إنهم يقيمون الصلاة بسرعة، أقول لك: اترك هذا المسجد الذي فيه يؤذن أحدهم والآخر يقيم الصلاة، بينما الأول لم ينته من الأذان! لا نريد مثل هذا المسجد.. إذا كانوا يفعلون هذا بالأذان؛ فماذا ستكون حال الصلاة؟ نحن نريد أن نصلي، ولا نريد أن نحارب.

أين ستصلي المغرب؟ أو دعني أغيّر السؤال وأسألك: أين ستجلس بين العصر والمغرب؟

فهذا الوقت غالٍ جدًا ونفيس وثمين؛ الوقت بين العصر والمغرب وقت جميل تختم به يومك ونهارك، بعض المساجد ترتب فيه دروسًا، وإن كنت أرىٰ أن هذا الوقت ليس وقت درس، رغم أن هذا الأمر انتشر، وأصبحت سنة عند كثير من الناس «درس العصر في رمضان»، وليست هذه مشكلة، فهي أحسن من لا شيء، لكن الأحسن أن يكون هذا الوقت: وقت محاسبة، وقت تضرع وبكاء، وتلاوة للقرآن..

إذن :

* أين ستجلس بين العصر والمغرب؟

* أين ستصلي السنة القبلية لصلاة المغرب؟

* ستفطَر من اليوم؟ طبق فيه أرز وخضار و«سلطة» ، تعطيه لِمَن؟

كل ما سبق . . كلام عن الرفقة . . وأما السؤال الأهم . . فعن اختيار القائد الذي سيقودك إلىٰ الله عز وجل :

أين ستصلي العشاء والتراويح؟

مَن القارئ الذي سيُذكِّرك بربنا؟ أين الذي وصفه رسول الله ﷺ وقال : « **إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَىٰ اللَّهَ** »[1] .

إخوتي . . .

إنني أقولها حقيقة ، رغم أنها قد لا تعجب الكثيرين منكم : إن أغلب من يصلّون بالناس الآن مغنون ، هذا غناء وليس قرآنًا !!

أريدك أن تسمع القرآن قرآنًا ، وليس غناءً ، أريد أن أسمع قرآنًا يؤثر في قلبي . . يحرك دواخلي . . يجعل شعر رأسي يشيب . . يجعل جسمي يقشعر . . ليس بالبكاء ، ولا بعلو الصوت ، ولا بالغناء ، لا . . إنما بالتأثر بالقرآن .

لا تضيع التراويح في مسجد ينقرها نقرًا ؛ إنها التراويح : يعني الصلاة التي تحتاج بين تسليماتها إلىٰ راحة ، كانوا يعدون الذي يصلي بالبقرة فقط قد قصَّر . . فتأمل !

ولا تقصد المساجد التي تخالف أئمتها ! فإن كنت لا تصلي إلا إحدىٰ عشرة ركعة ، فلا تذهب إلىٰ مسجد يصلي ثلاثة وعشرين لكي تختلف مع الإمام وتناقشه !

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٩) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١٠١) .

إن كنت تحرص على السنة القبلية بالطبع ، فلا تذهب إلى مسجد يصلي العشاء بلا سنة قبلية ، ثم تجادل المؤذن!

إن كنت علمت أن صلاة التراويح بأقل من جزء خيبة أمل وإهدار لهمة المسلمين ، فلا تذهب لمن ينقرونها لكي تصرخ في المسجد وتضيع قلبك!

صلِّ خلف الذي تعتقد فيه أنه على الحق .. لا تذهب إلى من يخالفك خصّيصًا لتشاغب عنده؛ أنت في البحر .. ستغرق!

خذها قاعدة : انج بنفسك أولًا ..

اختر من الآن..!

* من الذي ستجلس معه بعد الفجر لتتدبر وتتقن القرآن؟

* من ستسابق في الختمات؟ مع من ستتدبر القرآن؟

أنت تحتاج أن تؤسس «عائلة تدبرِ القرآن» ، من شخصين ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، يقرؤون الآية ، ثم يذكر كل منكم ما فهمه منها ، ونجلس لنُفهِّم بعضنا بعضًا ، وتتلاقح الأفكار.

سبحان الله العظيم! في حلقات «وقفة مع آية» شعرت أن الثلاثين حلقة انتهت بسرعة ، لأني وجدت بعد ذلك أن هناك الكثير لم أقله ، على سبيل المثال –مثال واحد فقط– في قصة ذي القرنين : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

حين مكّنه الله ﷻ من هؤلاء الناس ، فقال له إما أن تعذبهم وإما أن تحسن إليهم ، فلك حرية التصرف ، فماذا كان رد ذي القرنين؟

قال : ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ

ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧-٨٨].

التدبر في هذه الآيات أنه قال:

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ فذكر الجزاء الدنيوي في البداية: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾، ثم ذكر الجزاء الأخروي؛ لأن من ظلم لا يتذكر الآخرة، فذكر جزاءه الدنيوي الأول ثم جزاءه الأخروي.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي المؤمن، فهذا متذكر للآخرة؛ فذكر له الجزاء الأخروي أولاً، وقال: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾، هذا في الآخرة، وقوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ هذا الجزاء الدنيوي، وقد أخره لأنه ليس من طلاب الدنيا.

هل وصل المعنى؟ تدبر وسوف تفهم.

هذا هو التدبر.. أن تقف مع الآيات، وتتأمل.

اختر قائدًا.. ابحث عن شيخ... وإن قلت: «ليس هناك شيخ» ذكّرتك بحديث رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ؛ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»[1].

الزم رفقة.. وإن قلت: «ليس هناك رفقة» عدت لتذكيرك بحديث رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ؛ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**».

يوجد شيخ ورفقة، ولكنك تتكبر على الشيخ وعلى الرفقة، وتريدهما حسب مقياسك المزاجي ووفق هواك.

حدد هدفك، أصلح سفينتك، اختر قائدك ورفقتك..

هيا بسم الله مجراها انطلق.. لكنك ستحتاج كي تسير في البحر برشاد.. إلى القاعدة التالية..

فهيا بنا.....

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٣).

القاعدة الرابعة:

﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

البحر كبير، والذي يسير فيه من غير علامات.. يضيع!

ولأن البحر كبير، فإن الله قد جعل خريطة سيره في الصفحة التي تقابله تمامًا، ولا تقلّ عنه كبرًا واتساعًا!.. مصابيح فوسفورية تقول لك: من هنا.. من هنا.. إنها النجوم! نجوم السماء..

فما النجوم الهادية في رمضان؟

كان لدي برنامج قديم اسمه «أخبار النجوم»، هؤلاء النجوم هم أصحاب سيدنا النبي ﷺ. هؤلاء الصحابة هم نجوم المجتمع، هم نجوم الدين.. هم نجوم الدنيا.

فالزم ورع أبي بكر.. وفرقان عمر.. وحياء عثمان.. وفروسية علي وإشارات ابن عباس.. والتزامات ابن عمر.. ولزومات ابن مسعود.. وعلو همة عبد الله بن عمرو.. وزهد أبي الدرداء وأبي ذر.. وهمة وعمل أنس وأبي هريرة.. وقوة وبطولة وشجاعة وفتوة طلحة بن عبيد الله، سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد رضي الله عنهم..

ثم النجوم بعد الصحابة هم العلماء: اقتنِ كتب فقه الصوم، وآداب الصوم، وأشرطة ومحاضرات تذوّق الصوم..

لا تسر في رمضان من غير اهتداء من هؤلاء النجوم.

«فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٢).

ترىٰ بعض الإخوة ينسلُّون من التراويح قبل أن يوتر الإمام!!

إلىٰ أين يا مسكين؟! يقول: «أريد أن أكمل القيام في البيت».

سبحان الله! ضيّع علىٰ نفسه الليلة وأجرها كاملاً لأنه أعرض عن النجوم!

لما قام رسول الله ﷺ بأصحابه، ففرحوا ذلك، وطمعوا في الزيادة، وقالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ» قال ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»[1].

هل تعلم ما الليلة؟

إنها تمتد من المغرب إلىٰ الفجر! فلو قمت مع الإمام حتىٰ ينصرف فكأنك قمت تصلي من المغرب إلىٰ الفجر؛ فهل قدرت للنجوم قدرهم؟ فاهتدِ بالنجوم!

وعلامات:

انظر لهذه الأضداد، وقل آمنت أن لله في خلقه شؤونًا:

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧].. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧].. ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وفي حديث أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَىٰ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلَّمَا، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَىٰ فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٢٢٧).

أَحَدُهُمْ فَأَوَىٰ إِلَىٰ اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»[1] .

ربك ييسر ويعين ويهدي ويوفق بعفوه وفضله ورحمته . .

ويزيغ ويضلّ ويفتن ويعمي بعدله وحكمه بحكمته . .

نعوذ برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، وبه منه لا نحصي ثناءً عليه ، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه ﷻ .

فمن سنن الله تعالىٰ أن يأخذ بيد السائر إليه بإشارات وإرشادات تنير له دربه ، وتوصله إلىٰ ربه ، قال سبحانه : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، لكن البصير المسترشد يعظمُ حظُّه من فهم هذه الإشارات ، ويكثر نفعه بهذه العلامات؛ قال سبحانه : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

فتيقظ أيها البحار اللبيب لإشارات وإرشادات التوفيق والحرمان في أيام رمضان .

انظر -مثلاً- إلىٰ أصحاب الغار : قال رسول الله ﷺ : «انطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَىٰ غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ»[2] .

عندما توسل الأول ببر الوالدين ، وفتحت الصخرة فتحة صغيرة - غير أنهم لم يستطيعوا الخروج- فهموا الإشارة : «أنتم في الطريق الصحيح ، أكملوا وأنا أفتح لكم» ، فتوسل الثاني ففتحت أكثر ، فتوسل الثالث ففتحت تمامًا ، فلولا أنهم فهموا الإشارة لم يكونوا ليكملوا .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٦٦) ، ومسلم (٢١٧٦) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٢١٥٢)، ومسلم (٢٧٤٣) .

فأنت كذلك في رمضان تأتيك كل يوم إشارات من ربنا ، ورسائل من ربنا ، هل قبِلك الله؟ أم أنه سبحانه يقول لك : أصلح أكثر؟

إشارة من ربنا؛ يقول لك : «استزد من القرآن» .

إشارة من ربنا؛ يقول لك : «غَيِّر المسجد الذي تصلي فيه» .

إشارة من ربنا؛ يقول لك : «اعتكف» .

افهم الإشارات؛ إن وجدت قلبك في طريق فلا تحِدْ عنه ، ولكن بالطبع مع مخالفتك لهواك :

وجدت قلبك في الاستغفار بالسحر في المسجد؛ الزم هذه الإشارة . .

وجدته في ركعتين بعد التراويح ، حين ينصرف كل الناس؛ الزم هذه الإشارة . .

وجدته يفسد بمباشرتك الإشراف على توزيع الصدقات؛ استفد من هذه الإشارة . .

واشكر الله على فهم هذه العلامات!

القاعدة الخامسة:

أسرع بالليل

قال رسول الله ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ»[1]، وقال ﷺ: «وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[2].

شغل .. شغل .. في الروحة والغدوة، وشيء من الدلجة.

كن مشغولاً بربنا، فإنما هو شهر فقط..

قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَىٰ بِاللَّيْلِ مَا لا تُطْوَىٰ بِالنَّهَارِ»[3].

وقال ربنا عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

كان ﷺ إذا جنّ عليه الليل يقوم كأنه وتد.

نريد رجلاً قائمًا طوال الليل.. نريد بطلاً، ألا تريد أن تكون عتيق الله من النار؟ إذن لابد من الاهتمام بأيام وليالي رمضان، لكن في الليل زد السرعة.

فرّغ الليل من الحقوق..

اسكت في الليل إلا عن القرآن والمناجاة..

اجعل ورد الليل أضعاف ورد النهار..

اعتكف بالمسجد كل ليلة ولو جزئيًا..

أوله دمعة.. وآخره دمعة:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٧١)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٤١).

أول الليل .. ساعة الغروب .. يحين موعد العتق : «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»[١] ، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ -يعني في رمضان- لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»[٢] .

قال رسول الله ﷺ : «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»[٣] .

ما رأيك ؟؟ ماذا تتمنى ؟؟

ابكِ وتضرع تائبًا .. خائفًا .. راجيًا .. محبًا .. راضيًا ..

- لئلا يتفلت منك الشهر إلا معتوقًا ..
- بل لئلا يتفلت منك يوم إلا معتوقًا ..
- ولئلا تتفلت منك ليلة إلا معتوقًا ..

ثم في آخر الليل إذا أقفل السحر راحلاً .. وآن أوان نزول الرب وقبول الدعاء وقضاء الحوائج ، وتسطير أسماء المعتوقين ..

إياك .. أن يؤذن للفجر دون أن تعتق ..

هاتها من الله الكريم بالتضرع ، وربك يحب الملحّين بالدعاء ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٤٣) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٣٢) .
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٤) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢١٦٩) .
(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٤٢) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٣١) .

وقال عز وجل: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

فاستقبل الليل قبيل المغرب بغسل قلبك بدموع الرجاء والاستغاثة، وودع كل ليلة بغسل آخر.. من دموع كمال الذل مع كمال الحب.

اجتهد في هاتين الدمعتين: جرب أن تجثوَ على ركبتيك في الدعاء.. أن تعلّق يديك عاليتين في الدعاء.. أن تجدد ألفاظ الدعاء.. أن تستشعر سمع الله لك في الدعاء.

تدرب على هذا بمذاكرة مناجاة السلف من كتابنا أسرار المحبين باب: نسائم الأسحار.

فإن هاتين الدمعتين.. تسرعان بك في الليل:

قال رسول الله ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»[(١)].

ومن السبعة الذي يظلهم الله: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[(٢)].

تذوق القرب:

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر.. هذا قرب من جهة الرب وقرب من جهة العبد.

هذا هو عين الإسراع بالليل.. فاغنمه؛ فإن البعد يطوى بالليل ما لا يطوى بالنهار.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٣)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٧٧٧٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١).

القاعدة السادسة:

أمواج في الطريق

ليكن أخوف ما تخاف منه أنك بعد أن استعددت وركبت ومشيت أن ينقلب بك المركب، وهذه ثلاثة أنواع من الأمواج أحذرك منها في بحر رمضان:

العوائد، والعلائق، والعوائق..

يقول ابن القيم رحمه الله: «الوصول إلى المطلوب مرهون بثلاث: هجر العوائد وقطع العلائق وتخطي العوائق».

* هجر العوائد:

لا نريد أن يكون رمضان مثل كل رمضان؛ نفطر ونأكل وننام.

لا نريد رمضان مثل كل رمضان؛ يضيع ما بين الولائم والزيارات.

لا نريد رمضان مثل كل رمضان؛ أول الشهر نتناظر: «هل سنصوم مع السعودية أم سنصوم مع مصر؟»، وفي وسط الشهر نتجادل: «هل تجوز الزيادة على إحدى عشرة ركعة أم لا تجوز؟» وفي آخر الشهر نتشاجر: «لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة أم لا؟»..

كف عن الشحناء! كف عن المشاكل!

العوائد قد تكون من المباحات.. بل من العبادات.. لكنها اتسمت بالإلف، وصارت من عادات المرء لا من عباداته.

اعبد الله بتجرد من الحظوظ والأهواء.. حتى العبادات التي داومت عليها، اهجر البرود فيها، وجدد النيات في عملها، وأخرجها من «الروتينية» والرتابة؛ كيلا تغرقك هذه الموجة.

* قطع العلائق:

أحد الإخوة بعدما توقف مع نفسه وتاب، فوجئ في رمضان بموجة عالية: أنه يجد مشقة في غض بصره!

كان يحسب أنه إذا أهلّه رمضان سيكون ملكًا!

ففوجئ في عرض البحر.. بأن نفسه تراوده على معصية كبيرة.. فوجئ أنه يعرض عليه الدخان.. فوجئ بنفسه تراوده على.. وعلى.. في رمضان!!

يا أخي...

اعلم أنك لم تصبح ملكًا، لا تزال فيك بعد التوبة رواسب لهذه العيوب والذنوب، فاقطع هذه العلائق قطعًا؛ كيلا تغرقك هذه الموجة.

* تخطي العوائق:

العوائق: أشخاص في الطريق.. اقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فدعك من الناس، هوّن في قلبك البشر، حتى نفسك.. قلّل من شأنها بداخلك.. نفسك الأمّارة بالسوء من أعدى أعدائك؛ فتخطها، إنها طالبة الشهوات؛ فتجاوزها..

وسبحان الملك! من خصائص العوائق أنك إن تخطيتها بفضل الله وتثبيته، فإنك لست فقط تنجو بذلك؛ بل إن هذه العوائق تزيد سرعتك في السير، وترفع إمكاناتك في الإبحار كالحجر الذي إن وطئته رفعك، أو كالجبل الذي تكدح في صعوده، فإن تخطيت أقصى قمته وجدت يسرًا في النزول عنه..

هكذا تجد كل المشاكل التي يفتعلها الناس حولك إذا قررت عملاً صالحًا في رمضان، كالعمرة أو الاعتكاف مثلاً، أو إن قررت منع معصية قديمة كالاختلاط في الاجتماعات الأسرية، أو متابعة البرامج و «الفوازير» والمسلسلات التي

فيها النساء والمعاصي مثلاً ، بمجرد أن تثبت وتتخطى هذه المشاكل ، تجد أن كل هؤلاء الناس يعينونك بإذن الله على حياتك الإيمانية . . فاثبت .

والآن . . اقرأ الآية مرة أخرى ، لكن مع سياقها كاملاً -ولا تجرِ بصرك عليها سريعا- فإني سأترك لك تدبرها :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٧] .

إنه مجرد امتحان . . فتخطه مطمئنًا . . ولا تغرقك هذه الموجة .

أطواق النجاة من الأمواج الثلاثة (الإنقاذ إن طرأ فتور حاد في رمضان) :

* إذا تهت عن الطريق ، فابدأ من جديد :

أول طوق من أطواق النجاة إذا تهت : عُد من جديد ، تب وابدأ من البداية ، انوِ صفحة جديدة لا لغو فيها ولا تأثيم .

* جدد التعظيم ولا تغفل عن الهدف :

أن يعظم الله ويَجِلّ في قلبك ، ولا تغفل عن الهدف الذي حددناه في البداية وهو طلب العتق .

* انظر إلى النجوم والعلامات :

انظر للأدلة ومن سبقوك في الطريق ، لا تتكبر ، لا تكن مغرورًا ، لا تقل :

«لا أمشي وراء أحد»، لا تقل: «أعرف كل شيء»، لا تقل: «أنا فاهم والناس لا يفهمون»، اسمع الكلام، اذهب إلى شيخ وبثه شكواك، واستمع لنصحه، والزم أمره، وتابع معه يومياتك.

* **لا تنشغل بغير الطريق:**

أنت في عرض البحر، فابذل طاقتك فقط في السباحة مع التركيز على الهدف للوصول، ولا تنشغل بغير الطريق؛ انج بنفسك أولاً.

كان الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يفر من مجالس العلم لكي يقرأ ستين جزءًا في يوم واحد!! رحمة الله عليه، كان يختم القرآن مرتين كل يوم، مرة بالليل ومرة بالنهار، فما بالك تُضَيِّع قلبك، وتُفَرِّق شملَه، والناس من حولك أوشكوا على الوصول.. وأنت متعثر!

قاعدة فرعية:

لئن أعتق الله كل الناس من النار إلا أنت.. فلن ينفعك ذلك! أنت المستهدف من عملك أولاً؛ فانجُ بنفسك أولاً.

هذا رمضان، أنت في البحر فعلاً، وخسارة أن تبذل طاقة في غير ما يوصلك.

إذا نشب حريق في عرض البحر، فهل تداويه بأن تسكب عليه وقودًا؟؟ كيف ستواصل إبحارك إذن وأنت تحرق مركبك وتخسر رفقتك؟؟!!

* **استحضار الفوت..**

كم يوم مر من رمضان؟ كم معتوق إلى اليوم وضعوا رحالهم في الجنة!

* **تعرّف على ما أوقعك:**

هل تساهلت في موضع كان يجب عليك فيه الحزم؟ هل صُحبتك دَنِيَّة الهمة؟ هل بخلت على الله بتضحية كانت ستوصلك؟ هل..؟

تعرف على ما أوقعك واجعل قدمك تتعثر في الطريق.

القاعدة السابعة:

احذر الإعصار... (الهوىٰ)

هذه أخطر قاعدة وأعظم تحذير..

هذا أخطر ما تلقاه في السير إلىٰ الله، يدمر كل ما سبق: يدمر الهدف، والسفينة، والقيادة، والرفقة، ويحجب رؤية النجوم والعلامات..!

إنه حقا إعصار.. إنه الهوىٰ..

قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وفي الأثر: «ليس تحت أديم السماء إله يعبد، شر من هوىٰ متبع».

ومن أخطر أنواع الهوىٰ -والهوىٰ أنواع- أن تعبد الله علىٰ مزاجك، ووفق رغبتك.

وا أسفاه علىٰ من قضىٰ رمضان في تيه الإعصار..

أن يكون هو المشرف.. هو الإمام.. هو القائد.. هو المنظِّم، ويمضي منه رمضان في شهوة القيادة والتصدر:

عبادات علىٰ الهوىٰ، فتاوىٰ علىٰ الهوىٰ، أعمال دعوية وخدمية علىٰ الهوىٰ.. ويقضي رمضان في عرض تقارير إنجازاته الخدمية والدعوية! خدمةً لهواه!! وينسىٰ أن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ لا ما وافق هواه.

ويترك الاعتكاف لأسباب خدمية!!

وأحسن الهدي: الاعتكاف.

ويترك العمرة لأنه كداعية غير متفرغ لها!

وأحسن الهدي: العمرة في رمضان.

ويقضي رمضان في الصلة، والزيارات، والمبالغة في حق أهله والعيال!!

وأحسن الهدي: شد المئزر، وإيقاظ الأهل، وإحياء الليل.

أيها الداعية المخلص...

اختفاؤك في الليالي العشر من رمضان في حد ذاته دعوة، بل إنه دعوةٌ أبلغ من خطبك ومحاضراتك؛ فكما قيل: «فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل»؛ إنها دعوة بالتأسي.

إن كل جهودك التي على الهوىٰ مثلها كمثل الحَمْل الكاذب، وكما قلت لكم من قبل، فإن: كل حمل يتم خارج رحم المنهج فهو حمل كاذب.. هذه قاعدة في السير إلىٰ الله؛ فتضخم الأعمال علىٰ غير المنهج (الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة) يكون انتفاخًا فارغًا، لن يأتي بأبناء (لن يوصل إلىٰ رضا الله)؛ نحن نريد أن نلملم أنفسنا، ونعبد ربنا بهدوء بعيدًا عن ضجيج الأهواء، نريد أن نغلق هذا الشباك (المنظرة)، ونغلق هذا الباب (التصدر) الذي يأتي لنا منه الهوىٰ، لكي نستطيع عبادة ربنا بصدق.

قاعدة ثلاثية للنجاة من إعصار الهوىٰ في عرض رمضان:

في عرض البحر: الإخلاص أنفع.. الدعاء أنجع.. الافتقار أسرع.

١- الإخلاص:

الإخلاص: هو القصد بالعبادة إلىٰ أن يعبد بها المعبود وحده، وقيل: تصفية السر والقول والعمل.

وقال سهل التستري رحمه الله: «نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم

يجدوا غير هذا : أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالىٰ وحده لا يمازجه شيء ، لا نفس ولا هوىً ولا دنيا » .

فمن علم شدة حاجته إلىٰ صافي الحسنات غدًا في القيامة غلب علىٰ قلبه حذر الرياء ، وتصحيح الإخلاص بعلمه حتىٰ يوافي يوم القيامة بالخالص المقبول ، إذ علم أنه لا يخلص إلىٰ الله سبحانه إلا ما خلص منه ، ولا يقبل يوم القيامة إلا ما كان خالصًا لوجهه ، لا تشوبه إرادة شيء بغيره .

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : اعلم أن الطريق الموصلة إلىٰ الحق سبحانه ليست مما يقطع بالأقدام إنما يقطع بالقلوب ، والشهوات العاجلة قطاع الطريق والسبيل كالليل المدلهم ، غير أن عين الموفق بصر فرس لأنه يرىٰ في الظلمة كما يرىٰ في الضوء ، و الصدق في الطلب منار أين وجد يدل علىٰ الجادة .

وإنما يتعثر من لم يخلص ..

وإنما يمتنع الإخلاص ممن لا يراد .. فلا حول ولا قوة إلا بالله ..

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وقولوا لمن لم يكن صادقًا لا يَتَعَنَّىٰ » .

وليعلم المرائي أن الذي يقصده يفوته وهو التفات القلوب إليه ، فإنه متىٰ لم يخلص حُرِمَ محبة القلوب ولم يلتفت إليه أحد ، والمخلص محبوب ، فلو علم المرائي أن قلوب الذين يرائيهم بيد من يعصيه لما فعل .

إن المشركين الذين هم مشركون في عرض البحر لا يسألون إلا الله : ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

وإنك إن اعتبرت فعلاً أنك في عرض البحر . . فإن كل شيء سيهون عندك إلا الله الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ، ولا يجار عليه .

أخلص نيتك تطهرْ عبادتك من أدران الهوىٰ ، وتُحَبَّب إليك الخلوة والخمول ، وتغلُ همتك في الذكر وعبادات السر .

٢- الدعاء :

اقرأ نفس الآية : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، ألست قد ركبت وأبحرت ؟ فأين الدعاء ؟

يا لعجْزِ من حاجته بيد الله ولا يطلبها منه! كيف يشق علىٰ إنسان أن يقول : يا رب؟! اللَّهُمَّ إنا نسألك من فضلك ورحمتك وبركاتك ورزقك؟

قال ﷺ : «أعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»(١) .

انجُ من هذا الإعصار الرهيب .. باستدامة الطرق علىٰ باب القريب المجيب : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

٣- الافتقار :

إذا وجدت في نفسك نشاطًا في أول رمضان : تدرس في مقرأة ، أو تفطر الصائمين ، أو تلقي كلمة في التراويح ، أو تذكر الله كثيرًا ، أو تختم القرآن بسرعة ، فلا تغتر؛ لا تعجب في عرض البحر! بل الأحرىٰ بك أن تنكسر وتذل وتخضع بين يدي الله ، وتتضاعف حسناتك شكرًا لتوفيقه ..

أنت أحوج الناس للافتقار لاسيما بعد النصب في العبادة ؛ لأنك تخشىٰ ألا يُقبَل منك شيئا ، قال ﷻ : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٤٤٩٨) ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٦٠١) .

عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**»[1].

تأمل هذا المشهد.. وانظر لخطر الفرح بغير الله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

أرأيت كيف تولد الإعصار فورًا بعد فرحة العجب؟!

فالنجاة من الإعصار تكمن في الافتقار، يقول سفيان: «مثل المؤمن كمثل رجل في البحر علىٰ خشبة يقول: يا رب.. يا رب».

يا أخي...

ألا يفزعك، ويهدّ غرورك هذا أن تعلم أن لك بيتا في النار! أنت أنت..! لك مكان محجوز في النار، وتنتظر أن يكتب الله لك البراءة منه!

قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**»[2].

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ: «**دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**» معناه ما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَد إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِل فِي الْجَنَّةِ،**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢٥٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦٧).

وَمَنْزِل فِي النَّارِ»(١)، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار؛ لأنه مستحق لذلك بكفره» .

ومعنى «فكاكك» : أنك كنت معرضًا لدخول النار، وهذا فكاكك؛ لأن الله تعالى قدّر للنار عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم، صاروا في معنى الفكاك للمسلمين، والله أعلم» .

فإن كان الأمر كذلك.. فعليك بكلمة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : «تضاعف ما أمكنك؛ فإن اللطف مع الضعف أكثر» ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] .

رأى الحسن يوما شابًا يضحك بصوتٍ عالٍ، فقال له كلمة أبكته، وجعلته يهيم على وجهه، ولم يُرَ بعدُ ضاحكًا.. أتدري ماذا قال له؟ قال: «كيف تضحك وأنت لم تَجُز الصراط بعدُ!» .

وكان الحسن كثير البكاء، فقيل له: ما يبكيك؟! قال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي، أخشى أن يكون قد اطلع على بعض ذنوبي فقال: اذهب، فلا غفرت لك .

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، فأنت يقينًا ضِمْن الورود، لكنك لا تدري: أتنجو أم سَيَذَرُكَ الله في جهنم جِثِيًّا!

فطأطِئ رأسك وتواضع، حتى لا يُغرقك الإعصار..

ليلنا ليل البطالين، ونهارنا نهار أهل الدنيا، وملك الموت في طلبنا لا يكف عنا، وهل يغتر أو يعجب بعمل من يعلم أن الموت ينتظره، ولا يدري إلى أين يذهب به.. أإلى الجنة فيفرح.. أم إلى الأخرى؟!!

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٤١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٥٠٣) .

القاعدة الثامنة:

زورق الأمان والإسراع قدر الإمكان

(الاعتكاف)

عندما نقترب من الوصول يكثر الخوف؛ كثير من الطائرات احترقت على مدرج المطار، وكثير من السفن غرقت قرب الوصول.. فهل يا ترى ستأتي في آخر رمضان وتضيعه لكي تعود من الصفر؟

اجعل الاعتكاف زورق أمان..

هل ستأتي في آخر رمضان وتختلف في الاعتكاف، لأنك الأمير، أو الرئيس، أو الزعيم، أو المسؤول، أو الأقدم، أو الإمامة لك؟ هل ستأتي في النهاية وتهتم بـ: من يدخل؟ ومن الذي لا يدخل؟ والأكل سيء، ولا أحد يعتني بي، وأنا تعب في النوم، والذي بجواري صوته مرتفع، ولا أستطيع أن أنام!!

ستضيع؛ ستصل إلى النهاية وتضيع!!

لا يا ابني.. اكمل!

وأسرع قدر الإمكان.. اقرأ القرآن بسرعة، اذكر بسرعة، صلِّ بسرعة في إتقان، أكثر من كل شيء وبسرعة وبتركيز شديد.. لا تنشغل بأحد.

الاعتكاف: زورق خاص.. عاطفي جدًا.. هادئ جدًا لتتفرغ لاستمطار رحمة الله الخاصة جدًا جدًا: ليلة القدر.

وقد نصحك المصطفى ﷺ بذلك فقال: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»[1].

ويا لها من تحفة في خاتمة الشهر: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢-٣]!

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٠).

ويالـه من قطع للمسافات .. إن رزقت ليلة القدر في المسجد الحرام!

ليلة واحدة خير من ألف شهر ..

في مكان تضاعف فيه الحسنات مائة ألف ضعف!

فضائل متعددة لليلة القدر:

١) أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

٢) ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله ﷻ : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ .

٣) أنها خير من ألف شهر .

٤) أن الملائكة تتنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير ، والبركة ، والرحمة .

٥) أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله ﷻ .

٦) أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتْلَىٰ إلىٰ يوم القيامة .

والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس ؛ ليتفرغ لطاعة الله في مسجد من مساجده طلبًا لفضله وثوابه ، وإدراك ليلة القدر ، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة ، وأن يتجنب ما لا يَعنيه من حديث الدنيا ، ولا بأس أن يتحدث قليلًا بحديث مباح مع أهله أو غيرهم لمصلحة ، لحديث صفية أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ معتكفًا ، فأتيته أزوره ليلًا فحدثته ، ثم قمت لأنقلب (أي : لأنصرف إلىٰ بيتي) ، فقام النبي ﷺ معي»[1] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٧٥) .

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا المقصود من الاعتكاف : « وشرع لهم الاعتكافَ الذي مقصودهُ وروحهُ عكوفُ القلبِ على الله عَزَّوَجَلَّ وجَمْعِيَّتُهُ عليه ، والخلوةُ به عن الاشتغال بالخلق ، والاشتغَالُ به وحده سبحانه؛ بحيث يصير ذكرُه ، وحبُه ، والإقبالُ عليه في محلّ هموم القلب ، وخطراتِهِ؛ فيستولي عليه بدلَها ، ويصير الهمُّ كلُّه به ، والخطراتُ كلُّها بذكره ، والتفكرُ في تحصيل مراضيه ، وما يُقرِّب منه؛ فيصير أُنْسُهُ بالله بدلاً عن أنسه بالخلق؛ فَيُعِدُّهُ بذلك لأنسه به يومَ الوحشةِ في القبور حين لا أنيسَ له ، ولا ما يَفْرَحُ به سواه؛ فهذا مقصودُ الاعتكافِ الأعظم » .

وهذه جملةٌ من الآداب يحسنُ بالمعتكفين مراعاتُها ، والأخذُ بها؛ ليكون اعتكافُهم كاملاً مقبولاً بإذن الله :

أولاً : استحضارُ النيّةِ الصالحةِ ، واحتسابُ الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ .

ثانيًا : استشعارُ الحكمةِ من الاعتكاف ، وهي الانقطاع للعبادة ، وجَمْعِيَّةُ القلب على الله عَزَّوَجَلَّ .

ثالثًا : ألا يخرج المعتكفُ إلا لحاجته التي لا بد منها .

رابعًا : المحافظةُ على أعمال اليوم والليلة من سنن وأذكار مطلقة ومقيَّدة ، كالسنن الرواتب ، وسنَّة الضحى ، وصلاة القيام ، وسنَّة الوضوء ، وأذكار طرفي النهار ، وأذكار أدبار الصلوات ، وإجابة المؤذن ، ونحو ذلك من الأمور التي يحسن بالمعتكف ألا يفوته شيء منها .

خامسًا : الحرصُ على الاستيقاظ من النوم قبل الصلاة بوقتٍ كاف ، سواء كانت فريضة ، أو قيامًا؛ لأجل أن يتهيأ المعتكف للصلاة ، ويأتيها بسكينة ووقار ، وخشوع .

سادسًا : الإكثار من النوافل عمومًا ، والانتقالُ من نوع إلى نوع آخر من

العبادة؛ لأجل ألا يدبَّ الفتور والملل إلىٰ المعتكف؛ فَيُمْضِيَ وقته بالصلاة تارة، وبقراءة القرآن تارة، وبالتسبيح تارة، وبالتهليل تارة، وبالتحميد تارة، وبالتكبير تارة، وبالدعاء تارة، وبالاستغفار تارة، وبالصلاة علىٰ النبي ﷺ تارة، وبـ: لا حول ولا قوة إلا بالله تارة، وبالتدبُّر تارة، وبالتفكُّر تارة، وهكذا...

سابعًا: اصطحاب بعض كتب أهل العلم، وخصوصًا التفسير؛ حتىٰ يُستعانَ به علىٰ تدبُّر القرآن.

ثامنًا: الإقلال من الطعام، والكلام، والمنام؛ فذلك أدعىٰ لرقَّة القلب، وخشوع النفس، وحفظ الوقت، والبعد عن الإثم.

تاسعًا: الحرص علىٰ الطهارة طيلة وقت الاعتكاف.

عاشرًا: يحسن بالمعتكفين أن يتواصوا بالحق، وبالصبر، وبالنصيحة، والتذكير، وأن يتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، والإيقاظ من النوم، وأن يَقْبَل بعضُهم من بعض، وأن يتحلوا بالإيثار، وحسن الخلق، والصبر، واحتمال الأذىٰ.

وبالجملة فليحرص المعتكف علىٰ تطبيق السنَّة، والحرص علىٰ كل قربة، والبعد عن كل ما يفسد اعتكافه، أو ينقص ثوابه.

ممنوعات الاعتكاف:

أولاً: كثرةُ الزياراتِ وإطالتُها من قِبَلِ بعض الناس لبعض المعتكفين، وينتجُ عن ذلك كثرةُ حديثٍ، وإضاعةُ أوقات.

ثانيًا: كثرةُ الاتِّصالات والمراسلات عبرَ المحمول بلا حاجة.

ثالثًا: المبالغةُ في إحضار الأطعمة؛ وذلك يفضي إلىٰ ثِقَلِ العبادة، وإيذاءِ المصلين برائحة الطعام؛ فالأولىٰ للمعتكف أن يقتصد في ذلك.

رابعًا : كثرةُ النوم ، والتثاقلُ عند الإيقاظ ، والإساءةُ لمن يوقِظُ من قبل بعض المعتكفين ، بدَلاً من شكره ، والدعاء له .

خامسًا : إضاعةُ الفُرَصِ ؛ فبعضُ المعتكفين لا يبالي بما يفوته من الخير ، فتراه لا يتحرىٰ أوقات إجابة الدعَاء ، ولا يحرص علىٰ اغتنام الأوقات ، بل ربما فاته بسبب النوم أو التكاسل بعضُ الركعاتِ أو الصلوات !!

سادسًا : أن بعض الناس يشجع أولاده الصغار علىٰ الاعتكاف ، وهذا أمرٌ حسن ، ولكنْ قد يكون الأولادُ غيرَ متأدبين بأدب الاعتكاف ، فيحصل منهم أذية ، وإزعاج ، وجَلَبَةٌ وكثرةُ مزاح وكلام ، وخروج من المسجد ، ونحو ذلك ، فإذا كان الأمر كذلك فبيوتهم أولىٰ لهم .

سابعًا : اعتكاف النساء في المساجد ، مع ما يحويه ذلك من مخالفات شرعية ، وتضييع للأوقات ، وصلاتهن في بيوتهن أولىٰ وأعظم أجرًا .

إن أشرف ما في كل شيء آخره ، والخيل أسرع ما تكون إذا قاربت الوصول ، وكان حبيبك محمد ﷺ إذا دخل العشر شدّ المأزر ، وأقام الليل كله ، وأحيا ليله وأيقظ أهله .

فأين أنت من سنته ، وهمته ، ونشاطه ، وحماسه ﷺ ؟!



القاعدة التاسعة:

تخلّص من أدران الرحلة

إنه سفر، فقبيل الوصول.. قبيل الاستواء على البر، قبيل رسوّ السفينة؛ ابدأ في تنظيف نفسك.

ليلة عيد الفطر كان عليّ بن أبي طالب يخرج -وتُذكر الكلمة أيضًا عن عبد الله بن مسعود وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم- فيقول:

يا ليت شعري.. من هذا المقبول فنهنئه، ومن هذا المحروم فنعزيه؟

توقف قبل انتهاء رمضان.. قبل أن يلفِظَ الشهر أنفاسه الأخيرة:

واهتم باللمسات الأخيرة:

* كثرة الاستغفار.
* الاهتمام بقضية القبول.
* كثرة الدعاء.
* إحياء ليلة العيد.

إحياء ليلة العيد ليس لأجل ما ورد في الحديث الضعيف: «من أحيا ليلة العيد؛ فقد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب» -فليكن أنه ضعيف أو موضوع- لكن لأجل إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[1].. إذ حينها ستجد الناس مشغولين بشراء الأحذية والملابس والحلويات و.. وأنت واقف تصلي وتناجيه: يا رب..

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

هل يوجد نهي عن قيام ليلة العيد؟ أليست ليلة من الليالي؟ أليس ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ومنها ليلة العيد هذه؟

* **زكاة الفطر:**

زكاة الفطر شرعت لتطهير أدران الرحلة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما **قال**: «فرض رسول الله ﷺ **زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[1]، وهي لا تصلح مالاً، بل لابد من الحبوب، ولا نريد مشاكل، ولا مناقشات، ولا مجادلات.. مللنا من هذه «المهاترات» واللغو والرفث.

سبحان الله!!

زكاة الفطر نفسها شرعت كفارة: «**زَكَاةُ الْفِطْرِ طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ..**»[2].

ووقتها قبل صلاة العيد: «.. **مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ**»[3].

الصاع: أربعة أمداد، والمد: ملء الكفين.

صاع الأرز ثلاثة كيلوغرامات ونصف تقريبًا: أخرجها تمرًا، أخرجها زبيبًا، أخرجها كما تريد.

ولكن..

أخلص في إخراجها كي تكون لله رجاء أن يُطَهِّرَ صومك ويكتبه كاملًا،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٩٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٢٠).

وأحسِن الاتباع فيها، فلا تبتدع في وقت إخراجها ولا في صنف إخراجها، ومن الصنف الذي تحب: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

أخرِجها طيّبة بها نفسك فأنت الذي تحتاج إلى الفقير: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

أتقن بها وداع رمضان؛ فزكاة الفطر بمثابة التفاتتك عند الوصول لتلقي نظرة أخيرة للبحر من ورائك.

أخرجها بيدك، وقلبك يقول:

اللَّهُمَّ تقبل منا رمضان.



القاعدة العاشرة:

قل عقوبات.. ولا تقل فتور

إخوتاه...

تعالوا نصحح مفهومًا خطيرًا:

كثير من الإخوة يستعدون مع أول قدم لهم على بر العيد لدعاوى (الفتور)!
لماذا يتوقع كثير من الناس (الفتور) بعد رمضان؟
نعم؛ يتوقع ذلك ولو قبل أن يشعر به!!

سؤال:

إذا أقبل العبد على الله تعالى ثلاثين يومًا، فهل المفترض في هذه الحال أن يطرده الله عن جنابه؟!

هل قال لنا الله عز وجل: إذا تقرب إلي عبدي شبرًا طردته من رحمتي؟! هل قال لنا الله تعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه، شغلته بمعصيتي، وصددته عن سبيلي؟!

حاشا، وسبحان الله وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا!!

بل ربنا غفور شكور؛ انظر إلى عقيدة أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

نعم.. إنا ربنا شكور؛ يجازي القليل من العمل بالكثير من التوفيق في الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧] وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

هذا في الدنيا..

ثم يبعثهم سبحانه يوم الجزاء: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

ويقال لأهل الجنة يوم الجزاء: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٢٢].

فإذا كان الأمر كما قرأت (دنيا وآخرة)؛ فهل يسوغ لكسول، أو معجب، أو مغرور: أن يعلل سفول همته بعد رمضان بأنه فتور، ثم لا يرى ذلك عارًا، بل ساغ له أن يظن أنه (فتور طبيعي!).. نتيجة طبيعية للإقبال على العبادة!!

سبحان الله!!

معجب حتى في فتوره!!

مغرور وهو يعترف أنه لا يصنع شيئًا!!

أيها الإخوة...

إنها دعوى كاذبة؛ جهل بالله، وبطبيعة الطريق إليه، وبسننه في خلقه..

تأمل كلام رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى اقْتِصَادٍ وَسُنَّةٍ؛ فَلِأُمٍّ مَا هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى الْمَعَاصِي؛ فَذَلِكَ الْهَالِكُ**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٥)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

نعم أيها الإخوة...

إن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية..

فهل معنىٰ هذا أن نرضىٰ بنقص الإيمان؟!

ثم: ما معنىٰ أن ينقص الإيمان؟

حاول أن تتوقع: نقص الإيمان يعني زيادة ماذا؟

يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، فالشِّرَّة والفترة واقع، وزيادة الإيمان ونقصانه عقيدة، لكن إذا تُرك الإيمان ينقص: فإلىٰ أين؟

إن مكمن الخطر هنا يتضح في قول النبي ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّة، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ اقْتِصَادٍ وَسُنَّةٍ؛ فَلِأُمٍّ مَا هُوَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَىٰ الْمَعَاصِي؛ فَذَلِكَ الْهَالِكُ**»(١).

إذا ضعف الإيمان؛ فإن المؤمن لا يترك السبيل بالكلية..

إذا قل الأعوان؛ فإن المحب لا يزال يمسك بطرف الحبل..

وإن مضىٰ رمضان؛ فإن سبل الجنة لم تغلق دون المشتاق إليها..

وإن مضىٰ رمضان؛ فإن طريق النار لم يفتح أمام الفار منها..

وإن مضىٰ رمضان؛ فإن الشياطين لا سلطان لها علىٰ المتقين..

إذن؛ فليس المتوقع بحسب سنن الله تعالىٰ وصفاته عَزَّوَجَلَّ أن الطاعة تؤدي إلىٰ المعصية!

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٥)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

حسنا:

فبم إذن يُفسَّر الفتور بعد رمضان؟

أيها الإخوة...

إنها عقوبات؛ إن من الناس من يكره الله طاعته والعياذ بالله..

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، فالله عز وجل عليم بذات الصدور، خبير بالنوايا والخفايا، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

فابحث عما تجاهلت أن تفقهه، فعاقبك الله بصرف قلبك عنه: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

ابحث عما رآه الله منك فعاقبك بتيسير العسرى: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٨-١٠]، ابحث عما توليته من دون الله، فعاقبك بالتمادي في توليه من دونه سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

إخوتاه...

صححوا هذا المفهوم؛ إنه متعلق بالعقيدة: لا تنسبوا لله كسلكم... لا تتعللوا بالقدر.

أصّلوا هذا الاعتقاد:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم

تَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

إن التفلت من الدين عقوبة، وليس أمرًا طبيعيًا يُستساغ.

فدعك من الشكاوى، لا يقتلك الوهم، لا تشكُ الفتور، لا تنطق هذه الكلمة: (عندي فتور)، ولكن:

انطلق انطلق.. اعمل اعمل..

اثبت.. اسكت.. اقرأ.. اعمل.. اذكر.. ادعُ..

صلِّ.. اتلُ.. صم.. قم.. تصدق.. انصح.. صِلْ رحمك..

اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالأَبْصَارِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ، وَيَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا،

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

أحبتي في الله...

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ من قواعد الإبحار في رمضان..

جَعَلَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ عُتَقَاءِ رَمَضَانَ وَمِنَ الْمَقْبُولِينَ.

ثم هيا إلى:

وصايا سريعة للإبحار إلىٰ الفردوس الأعلىٰ...

أصلٌ.. وتقليد..

لما أخذ دود القز ينسج أقبلت العنكبوت تتشبه ،

وقالت : لك نسج ولي نسج ،

فقالت دودة القز : ولكن نسجي أردية الملوك ونسجك شبكة للذباب ،

وعند مس النسيجين يبين الفرق .

الإخلاص والثبات..

شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة وشجرة الدبا تصعد في أسبوعين ،

فتقول لشجرة الصنوبر : إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة

قد قطعتها في أسبوعين ، فيقال لي شجرة ولك شجرة !

فتجيبها: مهلاً إلى أن تهب ريح الخريف ،

وقال الدب للآدمي : أنت تمشي علىٰ رجلين وأنا أيضًا ،

فقال الآدمي : ولكن صدمة تردك إلىٰ أربع ، وكم أصدم وأنا منتصف .

قلب.. وقلب..

رأت فأرة جملًا فأعجبها ،

فجرت خطامه فتبعها ،

فلما وصل إلى باب بيتها وقف ونادىٰ بلسان الحال :

إما أن تتخذي دارًا يليق بمحبوبك..

أو محبوباً يليق بدارك !!

الفصل الخامس

مائة نصيحة سريعة

للإبحار إلى الفردوس

في رمضان


yaqob.com

نصائح رمضانية

أحبتي في الله..

كل عام وأنتم بخير.. بمناسبة موسم الخيرات وأيام غرس الحسنات.

اللَّهُمَّ بلِّغنا رمضان،

اللَّهُمَّ سلِّمنا لرمضان، وسلِّم رمضان لنا، وتسلَّمه منا متقبلًا..

حبيبي في الله..

هل تحب أن تدخل الجنة؟

بل: هل تحب أن تدخل الفردوس الأعلىٰ من الجنة؟؟

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الجَنَّةَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَىٰ الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»[1].

الله أكبر..

اللَّهُمَّ إنا نسألك الفردوس الأعلىٰ من الجنة يا رب.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أول عتقاء رمضان،

وأن يجعلنا ممن صامه إيمانًا واحتسابًا، فغفر له ما تقدم من ذنبه،

وأن يرزقنا بركة ليلة القدر،

وأن يكتب لنا عمرة رمضان والاعتكاف في المسجد الحرام،

وأن يجعل رمضان بركة علينا وعلىٰ أمة محمد ﷺ،

وأن يكتب لنا به الفردوس الأعلىٰ من الجنة.. آمين.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٧).

وإليك النصائح، خذها مُصَفَّاةً مُنَقَّحةً مُستَخلَصَةً:

١) أخلص نيتك لله وحده، فلن تؤجر إلا بالإخلاص.

٢) إياك أن تتردد في نيتك، فإن من نوي الإفطار وعزم عليه يفطر.

٣) احتسب كل طاعة تقوم بها، فلن تُؤْجَرَ إلا علىٰ ما احتسبت.

٤) تُبْ قبل دخول الشهر الكريم من كل الذنوب، توبة نصوح شاملةً كاملةً حاسمةً قاطعةً عازمةً نادمةً.

٥) افرحْ بدخول الشهر الكريم، فما فَرِحَ بدخوله إلا مؤمن.

٦) هَنِّئْ إخوانك وأهلك بدخول هذا المَوْسِمِ العظيم.

٧) تأدب بآداب الصيام:

* الدعاء عند رؤية الهلال.
* الاستعداد للصوم بتبييت النية.
* تأخير السحور.
* تعجيل الفطر.
* أَفْطِر علىٰ التمر قبل ذهابك للصلاة.
* الدعاء عند الإفطار.
* اغتنام وقت السحر.
* الدعوة إلىٰ طعام الإفطار.

٨) الثمرة المرجوة من الصيام هي التقوىٰ، فاحرص علىٰ أن تتقي الله في أعمالك وأقوالك، ظاهرك وباطنك، سرك وعلانيتك.

٩) إذا صمت رمضان وقمته فأنت من الصدِّيقين والشهداء، فاجعل صومك جديرًا بهذه المنزلة.

١٠) أنصحك بالعزلة عن شر الناس، وتجنب الاختلاط بهم في المحرمات.

١١) تأمل نعم الله عليك، إذ رزقك الطعام، وحرمه غيرك، ورزقك الشراب وحرمه غيرك، ورزقك الطاعات وحرمها غيرك.

١٢) إذا اضطررت للاختلاط بالناس فحافظ على لسانك وبصرك وأذنك وعينك وقلبك، وصنهم عن ارتكاب المحرمات.

١٣) لا تضيع منك طاعةً واحدةً، قم بكل الطاعات التي تستطيعها.

١٤) أنفاسك هي عمرك، فلا تدَع نَفَسًا واحدًا يمر بك دون أن تذكر ربك، لا تفتر عن الذكر لحظة.

١٥) انبِذْ البطالة والبطالين، وعليك بمصاحبة ذوي الهمم.

١٦) صوم القلب عن المعاصي والخواطر الرديئة.

١٧) إذا صمتَ فليصم بصرك، وسمعك، ولسانك، وأذنك، وقلبك، ويدك، ورجلك، وبطنك.

١٨) لا تجعل يوم صومك كيوم فطرك.

١٩) شُرِعَ الصيامُ لكي تشعر بالجوع، فحاول أن تشعر بالجوع، ولا تتذمر من الجوع.

٢٠) اغتنم الدعوة المستجابة كل يوم عند الإفطار.

٢١) سَلِ الله أن تكون من عتقائه من النار في هذا اليوم.

٢٢) الزم سنة نبيك ﷺ، وإياك والابتداع.

٢٣) احرص على الصدقة كل يوم .

٢٤) احرص على تفطير الصائمين كل يوم .

٢٥) احرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل يوم ، ولو أن تنهى وتأمر نفسك أنت .

٢٦) لسانك سَبعٌ ، إن تركتَه أكلك .

٢٧) لا تتكلم إلا في طاعة الله .

٢٨) الغِيْبَةُ تخرق الصيام ، والاستغفار يرقِّعه ، فإذا وقعتَ في الغيبة -وأنصحك ألا تقع- رَقِّع صيامك .

٢٩) احرص على صلة رحمٍ من أرحامك كل يومٍ .

٣٠) احرص على بر والديك كل يوم ، وأن تفطر معهما .

٣١) احرص على إدخال السرور على قلب مسلمٍ كلَّ يومٍ .

٣٢) احرص على قضاء حوائج إخوانك ومساعدتهم .

٣٣) احرص على إكرام جيرانك كل يوم ، واحرص على دعوتهم إلى الإفطار معك ومع أسرتك .

٣٤) احرص على الإقلال من الضحك ، فإنه يميت القلب ، وينبغي أن تكون في صيامك منكسرًا ذليلاً ، لا ضاحكًا مختالاً .

٣٥) لا تجادل ولا تماري ، ولا تفتح على نفسك أبواب شرٍّ لن تستطيع أن تغلقها .

٣٦) تخلَّص من حقوق العباد التي عليك .

٣٧) أكثر من تلاوة القرآن ، عشر ختماتٍ على الأقل في الشهر .

٣٨) احرص على الصلوات الخمس في المسجد في جماعة تدرك التكبيرة الأولى في الصف الأول خلف الإمام على اليمين .

٣٩) احرص على صلاة التراويح في المسجد ، وأدرك الصلاة من أولها ولا تنصرف حتى ينتهي الإمام ، حتى يكتب لك قيام ليلة .

٤٠) احرص على التهجد في آخر الليل ، وأفضل القيام طول القنوت .

٤١) لا تصلي في مسجدٍ تحدث فيه بدعٌ أو مخالفات ، فإنك إن أنكرت أوغرت ، وإن وافقت وقعت .

٤٢) احرص على الخشوع في الصلاة وحضور القلب في كل الطاعات .

٤٣) استحضر الخشية من الله واستجلب البكاء ، فإن لم تجد تباكَ .

٤٤) الزم المسجد قدر استطاعتك .

٤٥) أكثر من النوافل .

٤٦) صلاة النساء في بيوتهن ، أو في أقرب مسجد من البيت خير لهن .

٤٧) التزام النساء بآداب الخروج الشرعية .

٤٨) يحرم على الحائض والنفساء دخول المسجد ، ومسّ المصحف ، والصيام ، والصلاة .

٤٩) لا تتوقف الحائض والنفساء عن ذكر الله .

٥٠) اغتنم أوقات إجابة الدعاء .

٥١) احرص على الاستغفار بالأسحار .

٥٢) احرص على الاعتمار في رمضان .

٥٣) داوم على الطاعة وإن قلّت .

٥٤) نوّع بين العبادات والطاعات حتىٰ لا تملّ نفسك .

٥٥) لا تلهُ (ابتعد عن أصحابك ، وعاداتك ، وزميلاتك ، وشهواتك) .

٥٦) لا ترفث (ابتعد عن زوجتك) .

٥٧) لا تصخب (ابتعد عن الشجار والصراخ) .

٥٨) لا تجهل (بل احلُم وتعقَّل) .

٥٩) إياك أن ترد علىٰ من يسبك أو يؤذيك ، قل : إني صائم . .

٦٠) تجنب الاختلاط .

٦١) احرص علىٰ النصح للمسلمين كل يوم .

٦٢) تخلق بخلق الإيثار ، إلا في الأوقات والطاعات والقربات .

٦٣) إذا دخل العشر شد المئزر واجتهد وأيقظ أهلك وقم الليل كله .

٦٤) احرص علىٰ اعتكاف العشر الأواخر .

٦٥) احرص علىٰ تحري ليلة القدر .

٦٦) قلل من ساعات نومك قدر استطاعتك (أربع ساعات تكفي؟)

٦٧) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين .

٦٨) احرص علىٰ إطعام المساكين وكسوتهم ، ومساعدة المحتاجين .

٦٩) أخرج زكاة فطرك .

٧٠) عوّد أطفالك علىٰ الصيام ،وعلىٰ الصلاة ،وعلىٰ سائر العبادات .

٧١) كن أجود من الريح المرسلة في الصدقة والإنفاق .

٧٢) أصلح علاقتك بإخوانك الذين بينك وبينهم شحناء أو خصام .

٧٣) لا تطع نفسك في كل ما تطلب ، فإن فعلت أهلكتك .

٧٤) إياك وشياطين الإنس : «دُعَاةٌ إِلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ» .

٧٥) إياك والمعصية في نهار رمضان (وكذلك لَيْلُهُ) .

٧٦) إياك والتلفاز ، والأغاني ، والخيام الرمضانية ، والتدخين ، والبنات ، والتسكع في الشوارع ، وإطلاق البصر ، وأكل الحرام ، إياك أن تعصي ربك .

٧٧) احرص علىٰ كل أسباب المغفرة حتىٰ يغفر لك في رمضان ، وإلا أصابتك دعوة جبريل عليه السلام : «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ»[1] .

٧٨) صم الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، الدنيا كلها شهر رمضان ، المتقون فيه يصومون عن الشهوات المحرمات ، فإذا جاءهم الموت فقد انقضىٰ شهر صيامهم ، واستهلوا عيد فطرهم .

٧٩) اصبر ، فالصوم نصف الصبر .

٨٠) إذا أصبحت آمنًا في سربك ، معافىٰ في جسدك ، عندك قوت يومك ، فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها ، فاحمد الله ، ولا تقتل نفسك بحثًا عن الرزق ، فلن تأخذ إلا ما كتب الله لك .

٨١) ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩]، ابحث عن أسرة بها أيتام ، واكفلهم إن كنت تستطيع ذلك ، ساعدهم وأدخل علىٰ قلوبهم السرور .

٨٢) من دقيق نعم الله التي لا تكاد تفطن لها أن تغلق عليك بابك ، فيرسل الله من يطرق عليك الباب فيسألك شيئًا من القوت ؛ لتعرف نعمة الله عليك

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٨١٠) .

فتأمل ! ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

٨٣) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]: احمد ربك ، وتحدث بنعمه .

٨٤) الصوم ثلاث درجات :

* صوم العوام : كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

* صوم الخواص : كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

* صوم خواص الخواص : كف القلب عما سوىٰ الله ، والإقبال بكل الهمة علىٰ الله ، والانصراف عن غير الله سبحانه .

٨٥) إياك وقول الزور : «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[١] .

٨٦) رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ ، فحسِّن صومك ؛ لئلا تحصل علىٰ المشقة بدون أجر .

٨٧) لا تصم عن الحلال ، ثم تفطر علىٰ الحرام .

٨٨) لا تستكثر من الطعام الحلال عند الإفطار : ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وأيضًا حتىٰ لا يثقل عليك القيام ، ولا يغلب عليك النوم بكثر الأكل .

٨٩) ينبغي أن يكون قلبك بعد الإفطار معلقًا بين الخوف والرجاء ، إذ لست تدري أيقبل صومك فتكون من المقربين ، أو يرد عليك فتكون من الممقوتين .

٩٠) الصبر علىٰ طاعة الله أهون من الصبر علىٰ عذابه .

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٤) .

٩١) الصوم حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ؛ ليسترك به من النار «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»[1]، فاستر نفسك عن النار.

٩٢) صوم اليدين بألا تمدهما إلى حرام (لمسة إلى زميلة، ورقة أو قلم تأخذه من محل عملك، ضربك بالظلم لأحد الناس....)، وصوم القدمين كفهما عن البطش، والسعي إلى ما يكتب عليهما وزره ويبقى عليهما تبعته وإثمه.

٩٣) حسِّن صومك، فإن كل عملك لك، إلا الصوم فإنه لله وهو يجزي به، استحي من ربك أن يأخذ منك صيامك مهترئًا.

٩٤) احرص على بعض الطفرات الإيمانية :

٩٥) سل الله القبول، فـ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

٩٦) رب رمضان هو رب كل الشهور، فلا تعد إلى المعاصي بعد انتهاء الشهر، في صبيحة العيد !!

٩٧) احرص على القضاء بعد انتهاء الشهر مباشرة.

٩٨) أتبع القضاء بست من شوال، فهو أجدر أن يثبتك على الدرجة الإيمانية العالية التي وصلت إليها بصيامك.

٩٩) اجتهد أن تجعل كل عامك رمضان، فلا تفتر عن الذكر وتلاوة القرآن، ولا تتوقف عن الصيام، ولا تمسك يدك عن الصدقات، وزد من البر والصلة والتزاور في الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤).

لكل امرئ ما نوى

١٠٠) بعض النيات التي يمكنك استحضارها عند صيامك:

(١) أن تكون بصيامك من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، قال أبو هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن، ومجاهد، والحسن، والضحاك، وعطاء، وابن جرير رحمهم الله: «أما قوله ﴿السَّائِحُونَ﴾ فإنهم الصائمون»، وقالت عائشة رضي الله عنها: «سياحة هذه الأمة: الصيام».

فالناس إذا كانت سياحتهم في أوروبا، أو حتى في الساحل الشمالي، فكيف سيُدعون يوم القيامة؟ أما نحن.. سياحتنا في الصوم، وبه سندعى يوم القيامة من باب الريان -إن شاء الله تعالى-.

(٢) أنك تقوم بعمل لا مثيل له: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»[(١)]، فبصومك تكون قد عملت عملاً لا يعدله ولا يساويه شيء في الدنيا، ولا يستطيع أحد أن يكون مثلك إلا إذا صام مثلك أو أكثر منك!

(٣) أنك تقوم بعمل ادخر الله ثوابه: قال ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[(٢)]، سبحان الملك! الكريم حين يدخر لك الثواب، تخيل كيف سيكون مقداره وعظمه!

---

(١) أخرجه النسائي (٢٢٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٨٣)، ومسلم (١١٥١).

(٤) أن تكفر سيئاتك : «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ»[(١)] .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَفِتْنَة الرَّجُل فِي أَهْله ، وَمَاله ، وَوَلَده ضُرُوب مِنْ فَرْط مَحَبَّته لَهُمْ ، وَشُحّه عَلَيْهِمْ ، وَشُغْله بِهِمْ عَنْ كَثِير مِنَ الْخَيْر ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، أَوْ لِتَفْرِيطِهِ بِمَا يَلْزَم مِنَ الْقِيَام بِحُقُوقِهِمْ وَتَأْدِيبهمْ وَتَعْلِيمهمْ فَإِنَّهُ رَاعٍ لَهُمْ وَمَسْئُول عَنْ رَعِيَّته ، وَكَذَٰلِكَ فِتْنَة الرَّجُل فِي جَاره مِنْ هَذَا ، فَهَذِهِ كُلّهَا فِتَن تَقْتَضِي الْمُحَاسَبَة ، وَمِنْهَا ذُنُوب يُرْجَىٰ تَكْفِيرهَا بِالْحَسَنَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

كل ذلك يكفره الصوم! والله إن أجره لعظيم!!

(٥) مغفرة ما تقدم من ذنوبك بصيام رمضان وقيامه وقيام ليلة القدر ، إذا تحريت الشروط : الإيمان والاحتساب ، تخيل صيام شهر وقيامه ، وقيام ليلة ؛ يغفر لك بها كل ما مضىٰ من ذنوبك!

(٦) أن يشفع لك الصيام يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ : «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ»[(٢)] ، وما أحوجك إلىٰ شفيع يدافع عنك أمام الله عَزَّوَجَلَّ حين يتخلىٰ عنك الجميع!

(٧) اغتنام صلاة الله عَزَّوَجَلَّ والملائكة عليك : «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الْمُتَسَحِّرِينَ»[(٣)] ، تقوم لتتسحر وتأكل ؛ فتظفر بدعاء الملائكة ومغفرة الله لك!

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (٥٠٢)، ومسلم (١٤٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٧٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٧٣٢٩).

(٨) أن يبعدك الصوم عن النار: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ**»[١]، فكأنك بصيامك قد بنيت حولك درعًا واقيًا يحميك من النار!

(٩) الصوم في الصيف يورث السقيا يوم العطش: قال أبو موسىٰ رضي الله عنه: «إن الله قضىٰ علىٰ نفسه أن من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقًّا علىٰ الله أن يرويه يوم القيامة»، فلا تتذمر أنك ستصوم في الصيف، ألا يكفيك أن يكون الناس يتقطّعون من العطش يوم القيامة، ويسقيك الملك عز وجل؟

(١٠) «**الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ**»[٢]، فاليوم قصير، والجو جميل، فتأخذ أجر الصيام دون أن تشعر بمشقته..

(١١) أن تدخل يوم القيامة من الريان ولا يدخل معك إلا الصائمون: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**»[٣]، أغمض عينيك وتخيل معي: ينادىٰ عليك يوم القيامة: فلان بن فلان، فتقول: أنا، فيقال لك: هَلُمَّ، ادخل الجنة من باب الريان بصيامك، ويأتي فلان من الناس كنت تحثه علىٰ الصيام فيتهاون ويرفض، يأتي ليدخل معك فتمنعه الملائكة!

(١٢) إذا مت وأنت صائم دخلت الجنة، «**مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٤]، والله لقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»[٥]، ألا يحفزك ذلك علىٰ أن تكثر من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/١٢)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣٤٠٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٧٩٧)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٣٨٦٨).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١١٥٢).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/٢٠٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٤).

الصيام، فإنك لا تدري متى يأتيك أجلك!

اللَّهُمَّ ارزقنا حسن الخاتمة..

(١٣) أن تغتنم الدعوة التي لا ترد: «**إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**»[١].

ماذا تشتهي؟ ماذا تتمنى؟ بمَ تحلم من خيري الدنيا والآخرة؟ الله الكريم عز وجل وعدك أن يستجيب لك دعاءك ويعطيك ما تطلب طالما كنت صائمًا، وحين إفطارك، هيا سل، فالعظيم لا يتعاظمه شيء!

(١٤) أن تكون من الأبرار: «**جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ صَلَاةَ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ، وَيَصُومُونَ النَّهَارَ، لَيْسُوا بِأَثَمَةٍ وَلَا فُجَّارٍ**»[٢].

ألا تحب أن يكون ذلك وصفك عند الله عز وجل؟
ألا تحب أن يغفر الله لك بقيامك الليل وصيامك النهار؟

(١٥) الحصول على الفرحتين الموعودتين: عند فطرك، وعند لقاء ربك: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**»[٣].

إن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، فما بالك وقد وعدك الله عند لقائه بفرحة! ولم يصف لك مقدارها أو ثوابها، تخيل فرحتك بين يدي ربك!

(١٦) أن يكون خلوف فمك أطيب عند الله من ريح المسك: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٢١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨١٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨٠٥)، ومسلم (١١٥١).

كلنا يتمنىٰ أن يكون عند الله مقبولاً ، أو أن يكون وصفنا عند الله مرضيًا ، أو أن تكون هيئتنا وبواطننا وظواهرنا كما يحب الله تعالىٰ منا ، فكيف بك إذا كانت رائحة فمك وأنت صائم أطيب عند ربك من ريح المسك ! هلاَّ صمت !

(١٧) اغتنام ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

عبادة ليلة تساوي عبادة ثلاث وثمانين سنة ! ما أعظمها من غنيمة لمن كان له قلب !

(١٨) أن تكتب من القانتين أو من المقنطرين علىٰ قدر عدد الآيات التي تقوم بها ، سواء مع إمامك في التراويح ، أو وحدك في التهجد .

قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ ؛ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ ؛ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ ؛ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ**»[1] .

(١٩) أن تكتب مع الصديقين والشهداء بصيامك رمضان وقيامك : جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان ، وقمته ، فممن أنا ؟ ، قال : «**مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**»[2] .

(٢٠) أن ترفع درجاتك في الجنة ويكون لك السبق : «**أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً ، وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ ، وَصَلَّىٰ كَذَا وَكَذَا سَجْدَةً فِي السَّنَةِ ؟**»[3] .

(٢١) وهدية للنساء : «**إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ؛ قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ**»[4] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري (١٨٠٥) ، ومسلم (١١٥١) .

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٩٨) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١٢٤٦) .

(٣) أخرجه ابن حبان (٣٤٣٨) ، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٤٩) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٦٣/١) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٣١٦) .

الخاتمة

مِسْكٌ

إن شاء الله

اللَّهُمَّ ارزقنا حسن الخاتمة..

وبعد...

فَيَا بَاغِيَ الخَيْرِ اسبَح! يَا بَاغِيَ الخَيْرِ.. أَبحِر!!

يَا بَاغِيَ الخَيْرِ.. سَتَجِدُ تَوْفِيقًا.

يَا بَاغِيَ الخَيْرِ.. سَتَجِدُ إِعَانَةً.

يَا بَاغِيَ الخَيْرِ.. لَنْ تَجِدَ صُدُود نَفْسكَ عَنِ القُرْآنِ.

يَا بَاغِيَ الخَيْرِ.. سَتَجِدُ صَفَحَات مُصْحَفِكَ تَجْرِي أَمَامَكَ كَأَنَّهَا الرِّيح.

يَا بَاغِيَ الخَيْرِ.. سَتَجِدُ نَفْسك سَخِيَّةً بِالصَّدَقَةِ.

وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ.. ارْكَبْ مَعَنَا..

يَا بَاغِيَ الشَّرِّ لَا تَغْتَرَّ! لَا عَاصِمَ فِي رَمَضَان مِنْ رَغْمِ الأَنْفِ إِلَّا مَنْ عُتِقَ.

يَا بَاغِيَ الشَّرِّ لَا تُغْرِقْكَ الأَمْوَاجُ.. لَا يُلْهِكَ إِعْصَارُ الهَوَىٰ عَنِ الهَدَفِ.

يَا بَاغِيَ اللَّهْوِ أَنْتَ مِلْكٌ لِلنَّارِ.. اشْتَرِ فِكَاكَكَ مِنَ النَّارِ بِالذُّلِّ وَالافْتِقَارِ.

أيها الأحبة..

عَلِّمُوا أَوْلَادكُمُ السِّبَاحَة!

أَشْفِقُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ فِي رَمَضَانَ شَفَقَةَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ وَلَدِهِ..
عَلِّمْ وَلَدَكَ الصَّوْمَ، أَلْهِهِ عَنِ الطَّعَامِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ.. خُذْهُ إِلَىٰ التَّرَاوِيحِ..
خُذْهُ مَعَكَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ مِنَ الْعَصْرِ لِلْمَغْرِبِ..

قُلْ لَهُ وَحَفِّظْهُ:

يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ..

وَيَا أيها السباح الماهر.. أيها الربان اللبيب..

أُرِيدُكَ إِنْ رَأَيْتَ شَاطِئَ الْعِيدِ أَلَّا تَغْتَرَّ بِهِ فَتَفْتُرَ عَنِ الْعِبَادَةِ..
بَلِ اجْعَلْ عَمَلَكَ دِيمَةً كَمَا كَانَ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ..
لَا تُلْقِ هِلْبَ الْوُصُولِ.. انْتَظِرْ انْتَظِرْ! تَأَمَّلْ أَوَّلًا هَذِهِ الآيَةَ:

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

ذَاكَ شَاطِئُكَ الْحَقِيقِيُّ.. الَّذِي إِنْ وَصَلْتَ إِلَيْهِ فَقَدْ وَصَلْتَ..
هَلْ قَرَأْتَ أَيْنَ؟ أَيْنَ ظَرْفُ الْمَكَانِ فِي الآيَةِ؟!
{عِنْدَ} .. {عِنْدَ رَبِّهِمْ}..
فَلَا تُلْقِ هِلْبَ الْوُصُولِ إِلَّا عِنْدَ رَبِّنَا فِي دَارِ السَّلَامِ..
لَا تُلْقِ هِلْبَ الْوُصُولِ إِلَّا إِذَا وَجَدْتَ مَرْكَبَكَ قَدْ حَمَلْتَهَا:

﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَرَضِّنَا وَارْضَ عَنَّا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين....